

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أ.د/ عبد الله بن أحمد الفَيْفي

فَيْفاء هَبَّة الطفولة!

شعر

أ.د/ عبد الله بن أحمد الفَيْفي
فَيْفاء.. هَبَّة الطفولة!



فَيْفاء

هَبَّة الطفولة!

أ.د/ عبدالله بن أحمد الفَيْفي

فَيْفاء
هَبَّة الطفولة!

(شِعر)





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الطبعة الأولى
1433 هـ - 2012 م

ردمك 978-614-01-0503-4



هاتف: 96673174000 +
فاكس: 96673175107 +
جازان - المملكة العربية السعودية



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: bachar@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

الإهداء

إليكِ ، حبيبتي..

يـا..

هَبَّـةَ الطفولة!

المحتويات

كلمة

هذه طبعة جديدة لمجموعتي الشِّعريَّة الثانية «فَـيْفاء». ولنادي جازان الأدبي، بالشراكة مع (الدار العربيَّة للعلوم- ناشرون)، اليد البيضاء في تولِّي نشرها في ثوبها الحالي.

ولقد خَضَعَتْ قصائد هذا الديوان للتحكيم الفنِّي مرَّتين، الأُولى للنشر عبر اتّحاد الكُتّاب العرب، ٢٠٠٥، والأخرى للنشر عبر نادي جازان الأدبي. ولئن لم تكن أساليب الشِّعر محلَّ اتفاقٍ دائمًا بين الشاعر والناقد، ولا بين الشاعر والقارئ، فالحقّ أنِّي قد استفدتُ من مرئيّات المحكّمين في تبيُّن ما قد يَعْرِض للقارئ من تساؤلاتٍ، أو تَعِنّ له من استشكالاتٍ خلال

القراءة، تقتضي التجليةَ والتبيين. وكان ذلك من دوافع تسطير هذه الكلمة هاهنا، فضلًا عن بعض التعليقات التي أدرجتُها في حواشي القصائد نفسها، لبيان ما كان لا بُدَّ من بيانه؛ إمَّا لتعلُّقه ببيئةٍ خاصَّة، أو لعدم شيوع استعماله.

على أنِّي أختلف مع مَن يرون حَجْر اللغة الشِّعريَّة على ما أَلِف الناس، ويُبادرون إلى نَعْت مَن نَدَّ عن ذلك، ولو قليلًا، بالحُوشيَّة، والإغراب، أو بالتوعُّر، والغموض. ذلك أن معارف الشعراء باللغة مختلفة، وإلمام الناس بسماواتها متباينٌ جِدًّا؛ ولو أُخِذَ في الشِّعر بمبدإ تطريب القارئ العامّ، وإرضاء الجمهور العريض، واستدرار التصفيق الساذج، إذن لانتفت وظيفةُ الشِّعر اللغويَّة، وطموحاته الخياليّة، في استحياء مندثرٍ، أو تجديد قديمٍ، أو استشراف شُموس أخرى.

إن لكلِّ مقامٍ مقالًا، ولكلِّ سياقٍ لغة. وتعليب الآفاق التعبيريّة في قوالب- تنفي القديم أو الحديث- هو إجدابٌ لطاقات اللغة، بتحجيرها في القديم، رفضًا للجديد-- بحُجَّة العاميَّة أو العُجمة-- أو الانسلاخ عن القديم منها، وإماتته، بحُجَّة التحديث والعصرنة. وتلك، في حقيقة الأمر، إشكاليَّةٌ تتجاوز اللغةَ إلى تفكيرٍ مغلوطٍ حول علاقة التراث بالحداثة. وأحسب أن مِن مهمَّة الشِّعر الأساس كَسْر هذه الساعة الفِكريّة الجامدة؛ بريشةٍ شِعريّةٍ تصبو إلى استحياء ماضٍ من جهةٍ، وتطوير حاضرٍ من جهةٍ أخرى. كما أنِّي، في الوقت نفسه، وإنْ كنتُ لا أرى تدخُّل الشاعر بشرح شِعره، لَأَجِد مِن حقِّ القارئ (النِّسبيّ) تقريب النصِّ إليه في بعض الحالات، بما لا يتنافى مع حُرِّيَّة النصِّ في إنتاج قراءاته المتعدِّدة.

أمّا بعد، فقد رأيتُ الإشارة إلى بعض نقاطٍ، قد تكون محلَّ تساؤلٍ في هذه المجموعة، وهي على النحو الآتي:

- يَجِد القارئُ بعض الكلمات متروكةً لفِطنته، مستعاضًا عنها بنقاط (...)، وذلك في مواطن يُمكن له أن يَقترح بدائل للمفردات الغائبة. وتلك من تقنيات النصِّ الحديثة، التي تسعى إلى أن تُشرِك القارئَ في التفاعل مع النصّ. وهي تُعَدُّ من بلاغيَّات الحذف الكتابيّ في الشِّعر الحديث. ومع قِلَّة ورود هذا في الدِّيوان، فإنِّي أُشير إليه هنا كيلا يُظنَّ من قبيل السقط، أو الخطأ الطباعيّ.
- أتعمَّد في بعض القصائد الموزونة المقفّاة كتابتَها في شكل قصائد التفعيلة، وذلك كقصيدة «ولكن». وليست كتابةُ القصيدة الموزونة المقفّاة بطريقتها التناظريَّة بحَـتْمِيَّة لا

فكاك منها، بل هي تقليدٌ موروث. فيما لطرائق الكتابة في العصر الحديث قِيَمٌ تعبيريَّةٌ، تتجاوز مسألةَ الأنساق الإيقاعيَّة. ذلك أنّ توزيع الكتابة على الصفحة، وكيفيّات تنضيد النصّ، واستعمال الخطوط، بأنواعها وأحجامها، وما إلى ذلك من التشكيل الكتابيّ، كُلّ ذلك بات من الآليّات الحديثة للتعبير الكتابي عن أجواء النصِّ، إنْ في الشِّعر أو حتى في النثر، وليس عبثًا شكلانيًّا.

- ثَمَّةَ مَن (قد) يعتقد أن قصيدة «مُعلَّقة بباب العصر» هي للشاعر الجاهليّ الحارث بن حِلِّـزَة؛ لِـما وَرَدَ إلى ذلك من إشارةٍ مع العنوان، إضافةً إلى لغة الشَّعر القديمة التي تتقمَّصها القصيدة. وذلك محضُ قِناعٍ فنِّيٍّ، أو قُل: من «أكاذيب الشُّعراء المعروفة!»؛ في سبيل الإفضاء ببعض

الرُّؤَى النقديَّة الاجتماعيَّة من جانبٍ، ومن جانبٍ آخر للتأمُّل في بنية النصِّ التكوينيَّة، واحتمالاتها، مقارِبةً المعنى، عبر الزمان والمكان، بتوظيف لُعبة التحقيق، واستقراء المخطوطات، والمقارنة ما بين الروايات. وهو ما يَزعم فيه الشاعرُ مُراودةً غيرَ مسبوقة شِعريًّا، حسب اطِّلاعه. وقد كانت لهذه المحاولة أصداء مستحسِنة- شكلًا ومضمونًا- إبّان نَشْر القصيدة أوَّلَ مرَّة في جريدة «الرياض»، ١٩٩٨. ويَظلُّ لهذا الضَّرب من الأساليب محبُّوه ومتذوِّقوه. أمّا تنميطُ الذائقةِ، ومحاصرة البدائل التصويريّةِ، وقولبتُهما، فممَّا لا يتبعه الشاعر، ولا يراه، ولا يعترف بمشروعيّته. وما كان لي أن أسوق مثل هذا الإيضاح، لولا ما تُثيره تلك القصيدةُ لدى بعض المتلقِّين، متسائلينَ عمّا إذا كانت حقًّا

لابن حِلِّـزَة، أم لابن (فَيـْفاء)؟! وإذا كانت للأَوَّل، فما مُسوِّغ إقحامها في هذا الديوان؟!

...

مهما يكن من أمر، فليس من وظيفة الشاعر أن يَشرح شِعره، ولا الإسرافُ في الإعراب عن مغازيه ممَّا ينبغي له. بَيْدَ أنه يبدو- أحيانًا- أنْ لا بُدَّ ممّا ليس منه بُدٌّ.

أ.د/ عبدالله بن أحمد الفَيفي

الرياض، مساء الأربعاء ٢٨ ربيع الآخِر ١٤٣٣هـ= ٢١ مارس ٢٠١٢م.

عُيُونُ الشِّعْرِ

عُيُونُ الشِّعْر

عُـيُونُ الشِّعْرِ تَصْحُو في الـمَرايـا

فَـتُوْرِقُ فِـضَّـةُ الأَمَـلِ الكَـسِيْحِ

عُـيُونُ الشِّعْرِ تَـقْرَأُ كَـفَّ وَقْـتِي

وتَكْـتُبُ قِـصَّـةَ الأُفُـقِ الـمُشِـيْحِ

تَـرَى مِنِّيْ، وفِـيَّ ، مَدَى احتمالـي

وتَكْـشِفُ شاهِدَ الأَمْـسِ الجَرِيْحِ

عُـيُونُ الشِّعْـرِ تَقْـدَحُ بَـيْنَ ذاتـي

وبَـيْـني نَبْـعَ شِـرْيَـانِـي ورُوْحِـي

فمـا أَدري ، إذا ما قُـلْتُ شِعْـرًا،

أشِعْـــرًا كانَ قَوْلي أَمْ جُرُوْحِي؟!

❄ ❄ ❄

أَ أَنْـفـاسَ القَـصِـيْدِ ، ورُبَّ رَيًّـا

مِنَ الفِرْدَوْسِ في الحَـرْفِ الذَّبِـيْحِ

لنـا فـي الشِّعْـرِ مَـحْـيًا أو مَمَـاتٌ

ومَوتُ الحُـرِّ كالشِّعْـرِ الصَّحِـيْحِ

فَقَدْ تَغْـدُو الحياةُ كأَرضِ «يَهْوَى»

وقـد تَغْـدُو القصيـدةُ كالمَـ...!

❄ ❄ ❄

يُـشِـيْعُ الـمُـرْجِفُونَ بِـأَنَّ خَطْـبًا

أَحـاطَ بِطـائـرِ الشِّعْـرِ الفَصِـيْحِ

«فُلُكْلُوْرِيَّةً» صارتْ مِزاجًا

فلا تَحفلْ بذا الفِكْرِ النَّطِيْحِ!

لَكَمْ تُزْرِيْ القَماءَةُ بالدَّعاوَى:

تُحَمْلِقُ وهْيَ تَنْظُرُ لِلسُّفُوْحِ!

❄ ❄ ❄

يُشِيْعُ المُرْجِفُونَ بأَنَّ خَطْبًا

طَوَى بالنَّشْرِ دِيوانَ الجُمُوْحِ

وأَنَّ قصيدةَ اليَوْمِ استقالتْ،

تَنامُ على حُرُوْفٍ مِن صَفِيْحِ!

لها لَيْلُ امرئِ القيسِ اغْترابًا،

لها صُبْحٌ كَصُبْحِ ابنِ الجَمُوْحِ!

تُـوَشِّـحُ رَبــَّـةَ الإلـهـامِ سَـيْـفـًا

وتَلْعَـنُ عاثِـرَ الحَـظِّ الشَّحِـيْـحِ!

وما يُـجْدي مَعَ الـمَوْتِ التَّداوي!

وما تُغـْني السُّـيُوفُ على الطَّرِيْحِ!

كَذَا كَذَبُوا، وبعضُ الحَـقِّ كِـذْبٌ

يـُواري سَـوْءَةَ الكِذْبِ الصَّرِيْحِ!

يَلُـوْمُ الفـاشِـلُ الدُّنـيا ويَشْـكُـو

فَسَادَ الدِّيْنِ فـي السُّوْقِ الرَّبِـيْحِ

وتَعْـقُـمُ أُمـَّـهـاتُ الخَـيْـلِ لَـمَّـا

يُـخِـبُّ الوَهْنُ في المعنَى اللَّقُـوْحِ

فَـوَيْـلُ غَـدٍ مِـنَ الـيَومِ ، ومِـمَّـا

تُخَـبِّـئُ تحـتَ إِبْـطَيْــهِ قُـرُوْحِي!

❄❄❄

مَـعـاذَ الشِّعْـرِ، والأَرْزَاءُ تَـتْـرَى

بِمـا نَـعَـقَ الغُـرابُ بِكُـلِّ رِيْـحِ

سيَبْقَـى فـي أَتـُـوْنِ الخَلْقِ وَحْـيٌ

مِنَ الشُّعَراءِ ، والشُّعَـراءُ تُوْحِـي

سيَبْقَـى الشِّعْـرُ دِيْـوَانَ البَـرايـا،

نَـدِيَّ النَّبْـضِ بالوَعْـدِ السَّمُـوْحِ

سيَبْقَـى فـي الوَرَى رِئَــةً، وقَلْـبًا،

صَبِيْحَ الصَّوْتِ، مُنْتَفِضَ الصُّرُوْحِ

يُـقـايِـضُ وَرْدَةَ الآتِـيْ بِـأَمْـسٍ

مِنَ الصَّحْـراءِ والعَصْرِ الضَّرِيْـحِ!

❄❄❄

وإِنَّـا نَـبدأُ الأَحـلامَ شِـعْـرًا

فـتَـنْـبَجِسُ الخَـوابـيْ بِـالصَّـبُوْحِ

نُـعِـيْدُ بِـهِ الـرَّوائـحَ لِلْـعَـشايـا

ونَحْمِـلُ سِـفْـرَهُ يَـوْمَ الـنُّـزُوْحِ

ولولا الشِّعْـرُ ما كـانـتْ لُغـاتٌ

ولا اقْـتَرَحَ الخَـيَالُ مَدَى الطُّمُوحِ

ولولا الشِّعْرُ ما سارتْ سَحابُ الـ

ـمَشاعِـرِ، جَـيْشَ هَطَّـالٍ دَلُـوْحِ

يُـرَوِّيْ خَـابِـيَ الـتَّاريـخِ فِـيْـنـا

ويَـغْـشَانـا بِشُـؤْبُـوْبٍ سَـحُـوْحِ

يُـعِـيْدُ بِـنـاءَ أَوْجُـهِـنا، ويَـرْنُـو

لِوَجْـهِ الحُـسْنِ فـي وَجْـهٍ قَـبِيْـحِ

❄❄❄

هَلِ الشِّعْـرُ- وقد تَعِبَتْ نِصَالُ الـ

ـقصائِدِ- غَـيْرُ إِنسـانٍ ورُوْحِ؟!

فَـرُبَّ قَـصِـيـدةٍ قَـصَدَتْ لِـواءً،

ورُبَّ قَـصِيدةٍ فَـتْـحُ الـفُـتُـوْحِ!

الرياض، ٢٠٠١.

ولكن!..

ولكن!..

عُهُودُكِ..

يا دِمائي؟

لم أَخُنْها

ولكنْ..

ماتَ في السَّيفِ الحُسامُ!

وغاضَتْ

أُمنياتُ الصَّوتِ .... حتَّى

تَثَلَّمَ

في

فَمِ

البَوْحِ

الكَلامُ!

وعاشتْ أُغنياتُ الصَّمتِ .... لـَـمَّا..

تَمـَطَّى في سَنا النَّجمِ الهُلَامُ!

❄❄❄

دَمٌ

أَزْهَى

مِنَ الشَّفَقِ المُسَجَّى

تَخَدَّجُ

فِي المَدَى .. أُفقًا يُضَامُ!

يُرَوِّيْ قارعاتِ العِـتْقِ أَمْنًا

تَحَدَّرُ

فــي

المساءِ

لـهُ

خِـيامُ!

وفاضَتْ بَـيْنَ أَجْنِحَةِ الرَّزايا

مَقادير

مِنَ

البَلْوَى

زُؤَامُ!

رأيتُكِ بَـيْنَ حابِلَـتَيْ يَدَيْها

كما

انْتَهَبَ

العَشِيَّاتِ

الظَّلامُ

وما بي مِن بَقايا الأَمْسِ

إِلَّا ..

تَباريح

مُعَلَّبَـةٌ

تُسَامُ

أَتَـيْتُ وكانَ وَقْتُكِ غَيْرَ وَقْتي

فلا حَرْبٌ أَتَتْكِ

ولا سَلامُ!

أُجَرْجِرُ بَـيْنَ خَطْواتي

خ

ي

ا

ل

ي

فيَمضي الدَّرْبُ عَنِّي . . والمقامُ

لــماذا ؟ كــيفَ ؟

يــا

صَمْتَ

الحَنايا،

سُؤالي

ماتَ

وانتَحَرَ

المَلامُ!

❄ ❄ ❄

فلا،

مـا

خُنْتُ

وَعْدَكِ،

صَدِّقيني!

ولكنْ .. خانَنِـيْ هذا الرُّكَامُ!

....

الرياض، ١٩٩٣.

عُوْجَا على الطَّلَلِ المُحِيْلِ لَعلَّنا..!

عُوْجَا على الطَّلَلِ المُحِيْلِ لَعلَّنا..!

(إلى امرئٍ ذِيْ قُرُوْح، غادَرَنا ولم يَعُدْ)

قِـفْ بِـيْ على طَلَلِ الأطلالِ مَأْهُـوْلا

وعِمْ صَباحًا أَمِـيْرَ الشِّعْـرِ مَصْقُولا!

واسْتَــنْبِتِ الفَجْـرَ مِن أَهدابِ غافِـيَـةٍ

وعَلِّـقِ الشَّمْسَ في جَفْـنَيْكَ قِنْدِيْلا!

وابـدأْ وُقُـوفًــا على ذِكـْرَى ومَـنْزِلِهـا

لا تَـعْـتَرِيْـكَ رُسُـوْمُ الدَّارِ تَـبْـدِيْـلا

❄❄❄

يـا حـامِـلَ الشِّعْـرِ كَمْ للشِّعْـرِ أَلْـوِيَـةً

أَلْـوَتْ بحامِلِـهـا فارتَـدَّ مَـحْمُـولا!

كـانـتْ قـوافِـيْكَ أَطـلالًا تُـؤَثِّـثُـهـا
أُنـْثَـى القَوافـيْ فَلِمْ أَمْسَيْتَ مَطْلُولا

ما زِلْـتَ تَغْـزِلُ مـاءَ العِشْـقِ في يَدِهـا
حتى تَـكَـسَّرَ شَمْـلٌ كُنْتَ مَشْمُـولا

أُرْهِقْـتَ فَـوْقَ لِـواءِ الشِّعْـرِ مِنْ دَمِـنا
ما أَهْـرَقَ اللَّـيْلُ في عَـيْنَيْكَ مَسْلُولا

ماذا تَرَكْـتَ وبِـنْـتًا وَدَّعَـتْكَ ضُـحًى
أَوْدَعْتَ دِرْعَكَ مُلْقَى المَجْدِ مَـتْـلُولا

ورُحْـتَ تَرْكُـضُ مِنْ حُلْمٍ إلى حُلُمٍ
شَـرَّقْتَ في الأَرضِ غَرْبًا رَفَّ سِجِّيْلا!

❄❄❄

أَشْهَدْتُكَ اللهَ هل ضاقَتْ مَرابِعُنا
عَنِ المَقِيْلِ بها؟ هلْ بِتَّ مَخْذُولا؟
أَمْ مَنْ بَلاكَ بِتَغْرِيْبٍ على مِقَةٍ؟
إنْ كُنْتَ تَجْهَلُ لا أَبْغِيْكَ تَعْلِيْلا[1]

❄ ❄ ❄

قُلْ لِيْ بِرَبِّكَ حاجاتٍ تُسَرُّ بها
غَزالةُ الحَيِّ ذاتُ الثَّغْرِ مَعْسُولا

(١) «لا أبغيكَ تَعليلًا»: أي «لا أبغي منكَ تَعليلًا»، أو «لا أُطالبكَ بتعليل». قال (جِران العَود النُّمَيري، (١٩٣١)، **ديوانه**، رواية: أبي سعيد السُّكَّريّ (القاهرة: دار الكُتُب المِصْريّة)، ٣٢):

أَقسَمتُ لا أَبغيكِ شاةً مَنِيْحَةً وَعِندَكِ حَوَّاءٌ مُنيخٌ وَحَنْظَلُ.

ما أُمُّ جُـنْـدُبَ بَـعْدَ الـبُـعْدِ مِ امْرَأَةٍ؟[1]
أَمْ قـد شُـفِـيْتَ لُبانـاتٍ وتَـتْـبِـيْلا؟

---

(١) «مِ امرأة»: أي «مِن امرأة». ولئن اعتُرِض على هذا الاستعمال بأن المسموع حذف نون «مِن» قبل «أل»، كقول (الأعشى):

وَكَأَنَّ الخَمرَ المُدامةَ مِ الإِسْـ ـفَنطِ مَمزوجَة بِماءٍ زُلالِ

فإن ضرورات الحذف كثيرة في الشِّعر العربيّ. حتى إن (المتنبي، (١٩٨٦)، **شرح ديوان المتنبي**، وضَعَه: عبدالرحمن البرقوقي (بيروت: دار الكتاب العربي)، ١: ١٥٥) ليقول، على سبيل الشاهد:

لَو لَمْ تَكُنْ مِن ذا الوَرى (اللَّذْ) مِنكَ هُوْ عَقِـمَتْ بِمَولِـدِ نَسلِهـا حَـوَّاءُ

فحَذَفَ ياء الاسم الموصول «الذي». على أن العِلَّة المسوِّغة لحذف نون «مِن»- إلى جانب ضرورة الوزن- تتمثَّل في التقاء الساكنين؛ وليست في وجود (أل) بعد (مِن). (انظر: ابن عصفور الإشبيلي، (١٩٨٠)، **ضرائر الشِّعر**، تح. السيّد إبراهيم محمّد (بيروت: دار الأندلس)، ١١٤). وما في ديوان الأعشى: «وَكَأَنَّ الخَمرَ العتيقَ مِنَ الإِسْفَنطِ»؛ فلا شاهد فيه، غير أن هناك شواهد أخرى أوردها ابن عصفور. و(التقاء الساكنين) هو ما وقع في «مِ امْرأَةٍ». ففي نطقهما ثِقَل، حتى في النثر، وفيه ضرورةُ تحريكِ نونِ (مِن). والشاعر لا يرى الجمود، ما جاء التصرُّفُ وَفق نواميس العربيّة وأعرافها.

أُمُّ الحُـوَيْرِثِ طالـتْ فيكَ وَحْـشَتُـهـا

لـم يَسـترحْ صَدْرُها بَـثًّـا وتَـعْوِيْـلا

أُمُّ الرَّبـابِ تُـناجِـيْ طَـيْـفَ طـارقِها

ما زال في القَلْبِ قَلْبٌ منكَ مَشْغُـولا!

أُمُـوْمَـةٌ ذَهَـبَتْ ثَـكْـلَـى بِـلا وَطَـنٍ،

ولا حَـنِـيْنٍ ، بِـلا حُـبٍّ ، وإنْ قِـيْـلا

هـذيْ أُمُـوْمَـةُ أُمٍّ أَتَـأَمَـتْ أُمَـمًا

على الـشِّفـاهِ حُروفًـا يُـتَّـمًـا حُـوْلا

❄❄❄

يـا أَيُّهـا المَـلِكُ الضِّلِّـيْلُ خُـذْ بِـفَـتًى

لا أَرْجَـعَ اللهُ عَهْـدًا كـانَ ضِلِّـيْلا!

إذْ يَـشـتري بِـضَـنَى الأَيَّــامِ تَطْـرِيَـةً
وإذْ يَـرُوْمُ هَـوًى فـي الرُّوْمِ تَطْـفِـيْلا

قُلْ جِئْتَ تَسأَلُ عن عُرْيِيْ ومَسْغَـبَـتِـي
فاسأَلْ هَدَتْك رِمالُ الوَقْـتِ مَسْؤُولا

مـاذا وُعِـدْتَ بـأرضِ الرُّوْمِ مِنْ حُلَلٍ
أَلْـبَـسْــتَـنَـا داءَهـا ذُلًّا وتَـذْيِـيْـلا؟

وعُـدْتَ لا مَطَـرًا عـادتْ بَشـاشَــتُـهُ
ومـا بِوَجْـهِكَ مِـنْ مـاءِ الحَيَـا نِـيْلا!

❄❄❄

عُـدْ مِنْ ضَلالكَ يَكْـفِيْ ما تَساقَـطَ مِنْ
نَـفْـسٍ تَـسَاقَـطُ تَرْحـالًا وتَـأْمِـيْـلا!

إنْ لم تَجِـدْ في ثَـرَى كَـفَّـيْكَ مُنْـتَجَـعًا

فمَـنْ يَـبِـيْعُـكَ في بِـيْدِ الظَّـما مِيْـلا؟

❄❄❄

بِـعْ لِـيْ زَمـانـًـا أَثـيْـثـًـا لا أراكَ بِـهِ

وَغْـلَ الحُـرُوْفِ خَصِيَّ الرَّأْيِ إِجْفِيْلا

أَبِـعْ لَـكَ الشَّـرَفَ الـمُـعْـلِـيْ ذُؤابَتَـهُ

وأَسْـتَبِـيْ لَكَ مِنْ بِنْتِ العُلَـى جِـيْلا

وأَسْـتَرِدُّ لِـحُـجْـرٍ صَـوْلَجَـانَ سَـنًـا

لا يُـسـتـبـاحُ غَـداةَ الـقَـتْـلِ إنْجِـيْلا

وامْـلَأْ نَـواكَ مِنَ الأَطْـلالِ تَـرْسُمُهـا

إِطْـلالـةً فَـوْقَ نَهْـدِ الأُفْـقِ إِكْـلِـيْلا

تَجْلُـوْ دُجاكَ كَمَـوْجِ البَحْرِ فـي لُغَـتِيْ

وتَغْتَدِيْ شَمْسُنا خَيْـلَ الْمُـنَى الطُّوْلـَى

❄ ❄ ❄

قِـفْ بِـيْ على جِهَـةِ الأَشْجَـانِ تَأْوِيْـلا

وانْعَـمْ صَباحًا أَمِـيْرَ الأَمْسِ مَعْـزُوْلا!

الرياض، ٢٦/ ٥/ ١٤١٩هـ.

مُعلَّقةٌ بباب العصر

مُعلَّقةٌ بباب العصر

وهذه مَأْلُكَـةٌ للحارث بن حِلِّزَة إلى بني قومه،

من مخطوطة قصيدةٍ لم يكتشفها (فريتس كرنكو) في الديوان الذي نَشَر:

١. «ولَـمَّـا أَنْ رأيـتُ سَـراةَ قَـوْمِـي

مَسَاكَى لا يَثُوبُ لَـهُمْ زَعِـيْمُ»

٢. عَقَـرْتُ قصائديْ، غَرْثَى.. عَطاشَى

لِـئلَّا يَسْتَـبِـدَّ بـهـا لَـئِـيْـمُ

٣. عَـقَلْـتُ بِداخلـيْ صَـعْـبًا جُـلَالًا

يَقـولُ الصَّامتُ اليومَ الحَكِـيْمُ

٤. ورُحْتُ أُصَوِّرُ التَّهْلاكَ رَكْبًا

بباب العَصْرِ والمَسْعَى حَطِيْمُ

٥. وأحلامي سُكَارَى لا تُبَارَى

ولكنَّ الأَداةَ بِها نَؤُوْمُ

❋❋❋

٦. بَنَيْتُ على الرَّغَائِبِ مُرْجَحِنًّا

مِنَ الآتيْ عليهِ الوُرْقُ حُوْمُ*

٧. وما بِيْ عَيْلَةٌ لولا انْتِسَابِيْ

لأَذْواءٍ عِيَالُهُمُ حَـ...

٨. يَرَوْنَ الخطَّةَ العَمْيَاءَ حِلْمًا

ويَخْتُوْنَ المُبَادِرَ إِذْ يَرُوْمُ

٩. يُـوَارُوْنَ الـمُـوَارَى خَـوْفَ أَنْ لَوْ

تَـرَاهُ الشَّمسُ وَهْـنًا أو تَشِـيْمُ

١٠. يَـلُـوْثُـوْنَ الـخِـبَـاءَ غَـيَـاهِـبِـيًّا

يَـمُـوْرُ بِعَالَـمٍ أَكْـهَـى يَهِـيْـمُ

١١. وَيَسْتَحْـيُـونَ أَنْ يَـحْـيَى جَـدِيْـدٌ

وهُمْ يَرْجُوْنَ لَوْ بُعِثَ الرَّمِيْمُ!

١٢. وسُـبْحَـانَ الذي أَغْـنَى وأَقْـنَـى

لنـا الأُخْرَى وللثَّـقَلَـيْنِ دِيْـمُ!

١٣. وسُبْحَـانَ الذي ما انْفَـكَّ يُوْفِـيْ

لـنـا الإِيْمَـانَ والدُّنْـيَا حَرُوْمُ!

❄ ❄ ❄

١٤. أَلِكْنِيْ - لا أبا لِلْبَيْنِ دَارًا-

لِوَادِيْ السِّرِّ مَأْلُكَةً تَدُوْمُ

١٥. وأَبْلِغْ ظَعْنَهُمْ ظَبْيًا فَظَبْيًا

بِمَوْمَاةٍ مَجَاهِلُهَا كَتُوْمُ

١٦. كَأَصْورَةٍ بِها البَيْدَاءُ تَحْدُوْ

ومِلْءُ عُيُوْنِها حَدَأٌ وبُوْمُ

١٧. كَأَنَّ سَوَادَ ما وأَدَتْ وجَاشَتْ

على التَّسْآدِ أَغْرِبَةٌ جُثُوْمُ

١٨. «وهُنَّ على الرَّجَائِزِ واكِنَاتٌ»

تَطُوْفُ بِهِنَّ مِنْ سَفَرٍ هُمُوْمُ

١٩. «ظَـهَرْنَ بِكِلَّـةٍ وسَدَلْـنَ أُخْـرَى»

وثُـقِّبَـتِ الـبَصَائِـرُ والحُـلُـوْمُ

٢٠. «وهُـنَّ على الظِّـلامِ مُطَـلَّبَـاتٌ»

ونِعْمَ الظُّلْمُ مِنْ نِعْمَ الظَّـلُـوْمُ

٢١. «عَلَـوْنَ رُبَـاوَةً وهَبَطْـنَ غَـيْبًـا»

ولـم يَرْجِعْـنَ وأُتـلَّتْ وهُـوْمُ

❄❄❄

٢٢. تَـقُـوْلُ الحُـرَّةُ الوَطْفَاءُ: وَيـْلِـي

أمـا في القَوْمِ جَـسَّارٌ حَلِـيْمُ؟!

٢٣. يُرِيْـغُ الـبَـسْمَـةَ العَـذْرَاءَ يَوْمًـا

لِثَغْـرِ الشَّمْـسِ فِـيْنَا أو يُقِـيْمُ

٢٤. كَنُـوْنِ النِّسْـوَةِ اجْتَاحَتْ حُرُوفي

سُكُـوْنٌ يَـسْتَـبِدُّ ويَـسْتَـدِيْـمُ!

٢٥. وعِنْـدِي بالعُـلَـى بَصَـرٌ حَـدِيْـدٌ

وعِنْـدِي فـي الدُّنَى نَظَـرٌ سَلِيْمُ

❄❄❄

٢٦. ومـا قـالَـتْ غَـدَاةَ الـبَـيْـنِ إلّا

ليُـنْـكَـأَ فِـيَّ فَـرَّاسٌ كَـرِيْـمُ

٢٧. يَـدُوْرُ مَـعَ الـمَكَارِمِ حيثُ دَارَتْ

فَـتَـحْـمَـدُهُ الـمَكَارِمُ والعُلُـوْمُ

٢٨. ويَسْـتَـبْـقِي الـتِّـلادَ بِـهِ طَـرِيْـفٌ

كَنَصْلِ السَّيْفِ قِرْضَابٌ صَرُوْمُ

٢٩. يُـعِـيْـدُ بِـنَـاءَ رَدْهَـتِــهِ إذا مـا
تَدَاعَـى الحَـيُّ واشْتَدَّتْ غَشُوْمُ

٣٠. ويَسْتَصْفِيْ الـمَعَارِجَ للمَعَـانـي
ولا يَـرْضَـى لِنَخْـلَـتِـهِ تَـئِـيْـمُ

٣١. ويَـبْرَأُ مِنْ غُـبَارِ الدَّهْـرِ وَجْهـًا
بِغُـرَّتِـهِ اهْتَـدَتْ أُمَـمٌ أُمُــوْمُ

٣٢. ويَـعْـرِفُ دَاءَهُ مِنْ غَـيْـرِ طِـبٍّ
كَـفَى المـَرْءَ المُجَـرِّبَ ما يَشِيْمُ!

❄ ❄ ❄

٣٣. فأَبْلِـغْ رَهْطَـهُمْ والحَـيُّ شَعْـثٌ
فَقَـدْ أَبْــرَأْتُ فيـهمْ مَنْ يَلُـوْمُ

٣٤. إذا ما ظَـلَّ في طَخْـيَـاءَ قَـوْمِـي
فَـبُدِّلَ مِنْ بَنِـيْ أَبَوَيْـكَ رُوْمُ!*[٢]

---

١) البيت يتيمٌ في: **ملحق ديوان الحارث**، ص٣٠، (تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، ط. (١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ = ١٩٩١م).

٢) ب: «خبأت قصائدي بالطلّ تندى»؛ ج: «خبأت قصائدي والطلّ فيها»؛ د: «خبأت قصائدي والطلّ ينثو».

٣) ج: «عبأت مشاعري همًّا تذرّى»؛ د: «عقلت مشاعري صعبًا جلالًا».

٤) د: «التهلاك رشدًا»؛ ب: «والماضي حطيم».

٧) ب: «لأقوام»؛ د: «لآباء». ومكان الكلمة الأخيرة في جميع النسخ فراغ.

٨) د: «ويخشون».

١٠) ج: «يموج»؛ ب: «بعالم أعمى».

١٢) ج: «وللثقلين حُومُ».

*) كتب على هامشه: «قال الأصمعي في قول علقمة بن عبدة:

كأسٌ عزيزٌ من الأعناب عتَّقها، لبعض أربابها، حانيَّـةٌ حُومُ

قال: «الحوم: الكثيرة»، وقال خالد بن كلثوم: «الحوم: التي تحوم في الرأس أي تدور». (ابن

منظور، **لسان العرب المحيط**، (حوم)).»

١٤) ج: «...للبين أرضًا».

١٨) الشطر الأول من البيت، والمقابِلة له في الأبيات الثلاثة التالية (١٩- ٢١) تُروَى للمثقِّب العبدي، من مَشُوْبَته المشهورة.

١٩) ب: «وما كانت مكلَّلةً حلومُ».

٢١) ج: «واحزألت»؛ د: «واحزلّت».

٢٣) د: «يعيد البسمة»؛ ج: «لعرس الشمس».

٢٤) ج: «يستمر ويستديم».

٢٦) ب: «ليصحو فيّ منتفضٌ كريم»؛ ج: «ليصحو فيّ محتدها الكريمُ»؛ د: «ليصحو فيّ فرّاس كريم».

٢٨) ب: «فرند السيف منه لا الرسومُ».

٢٩) ج: «جهوم».

٣٠) ب: «تؤوم».

٣٣) د: «جمعهم».

❋٢) من الواضح أن قد دارت القصيدة على ألسنة الرواة فدخل عليها ما ليس منها.

الرياض، ٢٣ رجب ١٤١٩هـ = ١٢ نوفمبر ١٩٩٨م.

صوتُ القادم

مِن سواد الأسئلة!

صوتُ القادم من سواد الأسئلة!

سـاهِـرٌ واللَّيـلُ فـي جَـفْـنَـيْـهِ نَـامْ

وتَنَامـَى في صَدَى الصَّمْـتِ الكَـلامْ!

يَسْـتَـعِـيْدُ الـرِّيْـحَ أَشْـواقـًا مَـشَـتْ

سِـلْـكَ يـاقُـوتٍ وأَحـجـارٍ وَجَـامْ

فـي سُـرَى الذِّكْرَى تنَاغَـى طَـيْـرُها

هَـمْـسَـةً حَـرَّى وأَشجـانـًا تُـوَامْ

يَـتَـمَـلَّاهــا .. تـمَـلَّاهُ : هَــوًى

أو جَـوًى يَـكْـوِيْ مَصاريـعَ العِظَـامْ!

....

قــالَ فـي بَـيْـدَرِهـا الظَّامـي : أَنــا،

مَـن أَنا؟ يا أَنْتِ، يـا هذا الزِّحَــامْ؟

تَـرْتَقِـي بِـي فـي ذُرَى الأَعـوامِ تَهْــ
ــفُو تُـنـادِيْـنِـي علـى البُـعْـدِ سَـلامْ
طَـوَّقَـتْـنِــيْ مِـن بَـقـايــاكِ مُــنًـى
لـم تَـجِـدْ بَعْـدُ مَطايـاهـا العِـظــامْ
وطَـوَتْـنِـــيْ فـي مَـرايـــاكِ رُؤًى
عَـذْبَــــةٌ كـانــتْ مَــراراتٍ زُؤَامْ
وتَـصَـبَّـتْـنِـيْ بِعَــيْـنَـيْـكِ صُــوًى
جَدَّفَـتْ صَـوْبَ مَـجالِـيْـهـا الـرِّهَـامْ
أَطْـرَبَـتْـنِــيْ .. أَرَّقَـتْـنِــيْ .. وطَـوَتْ
فـي سِجِـلِّ النَّـفْسِ أَصْـداءَ اليَمـامْ!

....

هِـيَ دُنْـيَــا مِـن بَـقَـايَـايَ دَنَـتْ

ومَـطَـلٌّ لِـلْـغَـدِ الآتِـيْ الـضِّـرامْ!

❄❄❄

هـكـذا الـتَـفَّـتْ مَـدَارَاتُ الـدُّنَـى

فـي مَـدَارِ اللَّـيْـلِ أَمْـشَاجـًا تُـسَـامْ

لَـيْـلَـةٌ واحِـدةٌ قـد لَـبِـسَـتْ

مِـن لَيالِـي العُمْـرِ فيهـا أَلْـفَ عـامْ!

وهَـلِ الـعُـمْـرُ سِـوَى لَـيْـلٍ هَـمَـى

أو سِـوَى لَـيْـلٍ تَـوَلَّـى كَـالجَـهَـامْ؟!

قـد يَـظَـلُّ الفَجْـرُ طِـفْـلًا ضَـارِعًـا

مُـشْـرَئِـبَّ الثَّـغْـرِ لِلنَّـهْـدِ الفِـطَـامْ

دَرَّ فـي وَعْـدِ الـخَـبـايـا دَرُّهـا
ساعـةٌ رَوَّتْـهُ أَلْـبَـانَ الـغَـرامْ
فـإذا الـنُّـوْرُ بِـنا يَـنْـدَاحُ كـالـــ
ـلَّثْغَـةِ الأُوْلَـى .. شَآبِـيْبـًا سِـجَامْ
تـَزْرَعُ الـرَّمْـلَ نَـهَـاراتٍ سَـرَتْ
فـي عُـرُوْقِ الـلَّـيْـلِ آمَـادَ الـظَّـلامْ!

....

هُـوَ حُـلْـمٌ أَيـْقَـظَـتْـنِـيْ نَـفْـحَـةٌ
مِـنـهُ يَـقْـظَـى بَـيـْنَ أحْـلامٍ نِـيَـامْ

❄❄❄

ساهـرًا واللَّيْـلُ فـي جَـفْـنِـيْ يَـنامْ
يَـتَـسَـجَّـى مِـن دَمِـيْ سَـيْـفًا كَـهَـامْ

مِـن دَمِـيْ الدَّافِـي الْـ تَـشَظَّـى وَرْدَةً
مِـلْءَ أَفـواهِ قَـوافـيـنــا الـحُـطَـامْ

مِـلْءَ هـذا السَّـهْـبِ مِنْ غَـيْـهَـبِـنا
مِـلْءَ أَثْـداءِ السَّـبـايـا فـي الخِـيَـامْ

سَـيَـصُـوْلُ الـوَقْـتُ مِـنْـهـا مِــلْأَهُ
سَــيَـرُدُّ الخَـيْــلَ إِصْـبَـاحُ الـقَـتَـامْ

سَـيَـشُــدُّ الـكَــرَّةَ الـبِـكْــرَ غَــدٌ
سَـيُـرَوِّيْ الـسَّــلَّـةَ الـنَّـشْوَى حُسَامْ!

....

يَـوْمَها فَلْـيَـهْـنَ[1] جَفْـنَـيْـكَ الكَـرَى
نـِيْـمَـةَ الطِّـفْـلِ وأَحـلامَ الحَــمَـامْ!

❄❄❄

(١) الفِعل هنا من «هَنِيَ، يَهْنَى، اِهْنَ». جاء في معجم (ابن منظور، **لسان العرب المحيط**، (هنا)): «طَعامٌ هَنِيْءٌ: سائغٌ، وما كان هَنِيئًا، ولقد هَنُؤَ هَناءَةً وهَنَأَةً وهِنْأً، على مثال فَعالةٍ وفَعَلةٍ وفِعْلٍ. اللَّيث: هَنُؤَ الطَّعامُ يَهْنُؤُ هَنَاءَةً، ولغةٌ أخرى: هَنِيَ يَهْنَى، بلا همز. والتَّهْنِئةُ: خلاف التَّعْزِية. يقال: هَنَأَهُ بالأَمْرِ والولاية هَنْأً وهَنَّأَه تَهْنِئةً وتَهْنِيئًا، إذا قلتَ له: لِيَهْنِئْكَ. والعرب تقول: لِيَهْنِئْكَ الفارِسُ، بجزم الهمزة، ولِيَهْنِيكَ الفارِسُ، بياءٍ ساكنة، ولا يجوز لِيَهْنِكَ كما تقول العامة.» والخلاصة: أن الشاعر يقصد: «لِيَهْنَ»، من «الهَناءَة»- لا «لِيَهْني»، من «التَّهْنِئة»، التي أشار ابن منظور إلى أنه لا يجوز القول فيها: «لِيَهْنِ»! وذلك كقول (أبي الحسن التهامي (-٤١٦هـ)، **مخطوط ديوان أبي الحسن التهامي**، (برقم ١٦٩٢، تصنيف ٨١١ ,٤ / د.ح، جامعة الملك سعود بالرياض)، ص٧٢):

لِيَـهْنَ مُروطَ الخُسْرُوانيِّ إِنَّهُ ... يُباشِرُ مِنها بِالحَرِيرِ حَرِيرُها

وقال (محمود سامي البارودي، (١٩٩٨)، **ديوانه**، تح. علي الجارم ومحمّد شفيق معروف (بيروت: دار العودة)، ٢٧٣):

لِيَهْنَ الْـهَوَى إِنِّي خَضَعْتُ لِـحُكْمِهِ ... وَإِنْ كَانَ لِي فِي غَيْرِهِ النَّهْيُ وَالأَمْرُ.

سـاهِــرٌ يَـذْبَـحُـهُ صَمْـتُ الـنِّـيَـامْ

مـا عَلَـيْـهِ ؟! جَـرَّ سِـكِّـيْنَ الكَـلامْ!

حَــزَّ فـي مــاءِ الـوَرِيْــدِ حَــزَّةً

أَوْشَكَـتْ تُـوْقِـظُ أَنْـفَـاسَ الـرِّمـامْ!

....

رُبَّــمـا أَحْـيَـاكَ تَـصْـهَـالُ الـظُّـبَـى

ولقـد يُـفْـنِـيْـكَ تَـسْبِـيْـحُ الغَمَـامْ!

....

الرياض، ١٤١٥هـ.

... ويصحو السؤالُ أشجارًا!

... ويصحو السؤالُ أشجارًا!

(حِواريّةٌ أُولى)

أصحُو على إيقاعِ قلبي

حينَ يُدركني المساءُ

وأَلُـمُّ مِن وَجِعِ السِّنينِ

براحتي ما لا أشاءُ..

...

أ تَـرُدُّني خَيلُ الحُروفِ

لنخلتي الأُولى،

وبَسمةِ أُمِّيَ الأُولى،

إلى بيتي المُعَلَّقِ بينَ أشواقي

على صَدْرِ المعاني الشاعِرِيَّةِ،

حيثُ تَحضنني السماءُ؟

أ تَـرُدُّني خَيلُ الحُروفِ الجامحاتُ

إلى جُفونِ الماءِ، أَنْقَى

مِن عُيونِ الغِيْدِ، أرْقَى..؟

يَسْتَبِدُّ الوَجْدُ أحيانًا ويَغمرني الصَّفاءُ!

أ تُعيدُ لي نَبْعًا تَكَفَّنَ بالحليبِ

إلى الحَبيبِ،

لَمَبْعَثٍ حُرٍّ،

رأيتُكِ فيه دِيوانًا،

يُرَوَّى الصَّيفُ منهُ والشِّتاءُ؟
أ تُعيدُ شامًا صارَ أندلسًا،
وتَصنعُ مِن عِراقِ الفَجْرِ إيوانًا
يُجَلِّلُ صَرْحَهُ الأَبَـدُ المُسَجَّى والبَهاءُ؟

ماذا جَنَى المتنبئُ المَحْمُومُ شِعرًا،
غيرَ خَيْلٍ إذ تَكُوْسُ..
ويَهْطِلُ المطرُ/ الدِّماءُ؟!
أَ وَلَمْ تُعَلِّمْكَ السُّنُوْنُ[1] بِأَنَّ عَصْرَ الحُلْمِ وَلَّى،

(١) مِن العرب مَن يَضُمُّ آخر «السُّنُون» في مثل هذا الموضع. قال (أبو تمّام، (١٩٨٢)، **ديوان أبي تمّـام**، بشرح: الخطيب التبريزي، تح. محمّد عبده عزّام (القاهرة: دار المعارف)، ج٣: ص١٥٢: ب١٠):

←

أنَّ عاقبةَ المُغامرةِ الشَّقاءُ؟

فتَظَلُّ تَغْزِلُ نَهْـرَكَ الأَبَدِيَّ

مِن دَمْعِ القَبيلةِ،

ثُمَّ تُهْرِقُهُ فَراشاتٍ مُلَوَّنَةً،

وتَرْحَلُ...

أيُّها الـيَـفَنُ المُضاءُ!..

قالَ القصيدُ:

أنا الزَّمانُ،

ثُمَّ انقَضَتْ تِلكَ السُّنُونُ وَأَهلُها فَـكَـأَنَّـها وكَـأَنَّـهُمْ أَحـلامُ

وهكذا كان ضبطُ الكلمة في الطبعة الأُولى، فلعلّ الشاعر يستسيغ ذلك أكثر. وقد جُعلتْ الكلمةُ هاهنا بالضَّبطَين، لجواز قراءتها بأيٍّ منهما.

وما تَـبَـقَّى مِن رَغيفِ الرُّوحِ،

والدُّنيا هَباءُ..

وأنا انبثاقُ النارِ مِن قَلْبِ الظَّلامِ السَّرْمَدِيِّ،

أنا الثُّرَيَّا والثَّرَى،

وأنا البِناءُ!..

وأنا ابنُ آدَمَ،

بِنْـتُـهُ،

يَخْتَارُ عالَـمَهُ البَدِيْعَ بِنَفْسِهِ،

ويُؤَثِّثُ السَّاعاتِ مِن أَلَقِ الرُّؤَى الأَبْكَارِ،

يُرْسِلُها الغِنَاءُ!..

سيُحِبُّ في رِئَةِ اللَّيالي

مِن ظِـباءِ البِيْدِ غانِـيَـةَ الحَضارةِ،

هِرَّةَ الأَعشَى

جَلَتْ وَلَّادَةَ الأَشْهَى

مِنَ الأُفُقِ الغَرِيْبِ،

يَحُوْطُهُ الأَرْطَى

ويَعْلُو الكَسْتَناءُ!

فأنا الذي يَسْتَلُّ غايَـةَ سَيْفِهِ

مِن هُدْبِ أُنْثَى،

أَوْقَدَتْ ثَوْبَ المَجَالِ

إلى المُحَالِ

بِأُقْحُوانِ صباحِها البَضِّ المُعَتَّقِ بالشُّمُوْسِ،

فيُغْرِقُ الكَوْنَ الحَرِيْرُ/ الاشْتِهاءُ!..

لَيَرِفَّ فَوْقَ هَيادِبِ الرِّمَمِ المُحَنَّطَةِ الصُّوَى،

حُلُمًا يُسافِرُ فَوْقَ تِـمْثالِ الأُنُوْثَةِ..

حِيْنَ يَسْكُنُهُ الجَلِيْدُ قَطًا..

ويَقْطُنُ بَيْنَ أَضْلُعِهِ الخَوَاءُ!

يَسْتَنْبِتُ الآتي

مِنَ الماضِيْ المُكَدَّسِ في جَماجِمِنا،

جُذاذاتٍ مِنَ الأَشْباحِ،

والأَلْواحِ،

والأَرْواحِ،

تأكلُها الرِّياحُ المَوْسِمِيَّـةُ..

ثُمَّ يَشْرَبها العفَاءُ!

في البَدْءِ كُنْتُ أُكَوِّنُ الأَكوانَ..

أحلامًا وأيـَّامًا

عذارَى في يَدِيْ..

أَمْ هَلْ تُراني قد كَبِرْتُ؟...

ألا فكَلّا..

إنَّني إنْ شِئتُ كُنتُ كما أَشاءُ!

الرياض، ٢٠ ربيع الآخِر ١٤٢١هـ = ٢٢ يوليه ٢٠٠٠م.

أُرجوحةُ العار !

أُرجوحةُ العار ![1]

لـم يُحَـدِّثْ عنهما السَّـاري

كيفَ عاشا في المَـدَى العاري

في رِمالِ الوَقْتِ كَـمْ سـارا

كيفَ صاغا لَـحْنَ أسحاري

وتَنامَتْ في مـدارِ الأمـسِ

وطــارتْ بَــيْنَ أوتــاري

قِصَّــةٌ لم تَـنْـتَبِــهْ عَينــي

في صِباها الضَّاحِكِ الجاري

---

(١) جاءت هذه القصيدة على وزنٍ غيرِ مستعملٍ في الشِّعر العربي، أو ربما غير مُدَوَّن، أو لم أقف عليه؛ فكُلُّ شَطرٍ من مجزوء الرمل يتألَّف هنا من: (فاعلاتن/ فاعلاتن/ تن)، بزيادة سببٍ خفيف.

أَيْقَظَتْ بَدْوِيْ.. وما زالتْ

تُــوْقِظُ المُســتقبَلَ النَّــاري

....

أَسْرَجَتْ في سَـهْلِها خَـيْلي

وسَـمَتْ في نَجْـدِها داري

وتَناجــتْ أَنــْجُمُ الــدُّنيا

بِهواهــا الثَّــائِرِ الضَّــاري

نَغْمَــةٌ فارِهــةُ النَّجْــوَى

تَتَهــادَى بَــيْنَ أشــعاري

ضَـــوَّأَتْ دَرْبِيْ بِغايـــاتي

عِطْرُهــا لَــيليْ وأنــواري

لُغَتي كانتْ. وقد كانتْ

تَزْرَعُ الغَيْماتِ أشجاري

....

فتَناهينا وشَاخَتْ في

مُقْلَتَيها كُلُّ أنهاري

وانْثَنَتْ تَبْكِيْ صِباها ما

جَرَّحَتْها لَفْحُ أخباري

خَبَّرُوها لَيْلِيَ المَجْدُوْلَ

سَرابًا لَفَّ أَوزاري

وحَكَوا عَنْ شِيْمَةِ العُشَّاقِ

حكايا أَحْرَقَتْ غاري

أَشْعَلوا قَلْبَ فَتـاةِ الأَمْـسِ
فهامَــتْ تَســأَلُ الشَّــاري

....

لم يَــرَوا بَــيْنَ دَيــاجيري
لَـمْحَ صُبْحِيْ النَّائمِ السَّاري
لَيْتَها تَـدْرِيْ بِـذاكَ الطِّفْـلِ
غَثَــى أُرْجُوْحَــةَ العَــارِ
ورَنــا يَحْتَــلِبُ التَّوْبَـاتِ
بِكَفَّــيْ طُهْرِهــا الــوَاري
ويُغَـــنِّيْ- رَفَّــةَ التَّــيَّارِ
عليهـــا- كُـــلَّ تَـــيَّارِ

مِـنْ حُـمَـيَّا عِشْـقِها لَـحْنًا
لم يَـدُرْ في سَـمْعِ سُـمَّاري:
قِصَّـةٌ لم تَـنْـتَبِهْ عَينـي
في صِباها الضَّاحِكِ الجاري
أَيْقَظَتْ فَجْرِيْ.. وما زالـتْ
تُـوْقِظُ النِّـيْرانَ في نـاري
والهَـوَى شَـانِيْ وأَشْـواقي
والنَّـوَى تَطْوِيْـهِ أَطيـاري
....

□ □ □

الرياض، ١١/ ١/ ١٤١٤ هـ = ١/ ٧/ ١٩٩٣م.

يَوميَّة فارس!

يَوميَّة فارس !

أَغْمَدَ السَّيفَ ، مُرْهَقَ الإِنسلالِ

وثَنَى شَهْوَةَ الحِصانِ الخَيالي

وتَمَشَّى في شَكِّهِ الوَقْتُ رَهْوًا

يَستعيدُ احتمالَهُ باحتمالِ

حَمْحَمَ المُهْرُ ، شاعرًا لَوْذَعِيًّا

أَفلَتَتْ مِنْهُ لَفْتَةٌ للشَّمالِ

واستدارَ المَدَى على أَخْدَعَيْهِ

دَوْرَةَ السَّاعَةِ .. انْخِزالَ الهِلالِ

تُـلْجِـمُ المُـهْـرَ كَـفُّـهُ ، وبِـكَــفٍّ
يُـلْجِـمُ الآهَ مُـدْلَـهِـمَّ السُّـؤَالِ
فَـتَّـشَ اللَّـيْـلَ وجْهُـهُ فـي يَدَيْـهِ
لـم يَـجِـدْ ما يكونُـهُ في اللَّيـالي
في ذِئـابٍ مِـنَ الـتَّـوَى ضَارِيَـاتِ
ودَيَـاجٍ مِنَ الطَّـوَى كالسَّعـالـي
يُـبْـدِئُ الـهَمَّ ، يَلْـتَوِي ، ويُـبَادي،
مُقْـدِمٌ ، مُحْجِـمُ الظُّنونِ ، انْتِقالـي

❄❄❄

شَـامَ في رَدْهَـةِ الوِهـادِ بَصِـيْصًا
ظَـنَّ نَجْمًـا مِنَ السَّمـاءِ يُـلَالِـيْ

أَطْلَـقَ الرُّوْحَ في رُخَـاءِ الـمَرايـا

وسَرَى الطَّـرْفُ يَسْتَـشِفُّ المَجَالي

طـارقٌ هذا؟ أَمْ طَرِيْفٌ؟ ومَن ذا؟

صَقْرُ ما كانَ في السِّنِـيْن الخَوالي؟

ما الذي يَجـري؟ هل تُرانا حَلُمْنا

فصَحَوْنـا بِلا هَوًى أو وِصالِ؟!

❄❄❄

تلك غرنـاطـةُ التي ضَمَّخَـتْـنِـي

بِـسِجَالٍ مِنَ الوَجَـى والـمَعـالي

لـم يَـزَلْ بـابُهـا يَـصِـرُّ بـأُذْنـــي

وبِـقَلْـبِيْ يُدِيْـرُ أَلْــفَـيْ نِصَـالِ!

وفَـتـاةٍ مِن مُهْـجَـتـي نـاهِـداها

ودِمـائي فـي وَرْدَةِ الخَــدِّ والـي

قُـرْطُـبِـيَّـاتُ أُنْـسِـهـا لَعِـبَتْ بِـيْ

وشَمُـوْلُ انْتِشائِهـا فـي سِـبالـي

أتُـراهـا لِـوَهْفَـةِ العِشْقِ تَـنْـسَى؟

أَمْ تُـراهـا غَريـرةً لا تُـبـالـي؟!

أَمْ تُـراني رَغِـبْتُ عَـنِّي وعَـنْهـا،

فاستحالـتْ قصيدةً مِن رِمالِ؟!

❄ ❄ ❄

كـان يَلْهُـو بِـهِ السُّـؤالُ ويَـلْـغُـو

جَـدَّدَ اللَّهْـوُ جِـدَّهُ، وهْـوَ بَـالِ

لـم يَعُدْ يَدري ما الذي يَـنْـتَوِيْـهِ؟

أَيَّ وَجْـهٍ لِـوَجْـهِـهِ مِن كَـلالِ؟!

يَـتَـرَوَّى مـاءَ الـمَلالاتِ صِـرْفـًا

فـي كـُؤوسٍ مِنَ الغَلِـيْلِ الزُّلالِ!

قال ، لمَّـا ارتأَى لـهُ الغَربُ شَرقـًا،

وإذا الفَجْـرُ نَشْـوَةٌ مِن مـُحـالِ:

يا غَزالـي مِن فِكْـرةِ الحُبِّ أَشْهَى،

قُلْ : متى فِـيَّ تَـرْعَوِي يا غَزالِي؟!

❄ ❄ ❄

كان يَهْذِيْ وكان يَذْوِيْ عَضُوْضـًا

فـي ثِـيـابٍ ضَوْئِـيَّـةٍ مِـن نِـبَـالِ

فـإذا شَـخْـصٌ نابِـتٌ في الـبَراري

أَسْوَدَ الصَّوْتِ أَبْـيَضَ الإِنْـهِمَالِ!

يَـقْـضِـمُ العُـمْــرَ وَحْـدَةً ورُؤاهُ

تَـزْجُـرُ الطَّـيْـرَ سُـنَّـحًا للشِّمـالِ

وإذا أُمُّـــهُ الـتـي لـم تَـلِـــدْهُ

تَـبْصُـقُ اللَّفْظَ في انْحِـنَـاءِ الجِبالِ:

«اِبْـكِ مِثْـلَ النِّسـاءِ مُلْكـًا مُضَاعًا

لـم تُحـافِظْ عليـهِ مِثْلَ الرِّجَالِ؟!»

....

دَمْـدَمَ الصَّمْـتُ والغُرابُ تَغَـنَّـى

وعَـوَى الذِّئْبُ مِن شِـفَـاهِ الدِّلاَلِ

اصْحَ مِن أَمْسِكَ اسْتَفِقْ يا صديقي

رُبَّ غرنـاطـةٍ رَنَتْ في احْوِلالِ!

رُبَّـمـا صـارتِ الـبِـلادُ كِـتـابًـا

أَنْـتَ فـيهـا بَقِـيَّـةٌ مِـن مِـثَـالِ!

رُبَّـمـا .. رُبَّـمـا ، ورُبَّـتَ بـاتـتْ

لِقَـتِـيْلٍ فـي أَرْضِهـا واحْـتِـلالِ

فَـدَعِ الشِّعْـرَ هـاهُـنـا وتَـهَـيَّـا

تَنْـظِـمُ الفَجْـرَ غُـرَّةً مِـن نِضَـالِ

إِنَّـمـا هـذه الـحَـيــاةُ قَـصِـيْـدٌ

خَـيْـرُ أَبْياتِهـا الحَدِيْثُ الأَصَـالِي!

الرياض، ١٨/ ٤/ ١٤٢١هـ.

فارقُ التَّوقيت

بين غرناطة ومجريط(*)

(جِداريَّــة)

الرياض، ١٩٩٤ - ٢٠٠٤

(*) هكذا كان العرب الأندلسيُّون ينطقون اسم (مدريد).

إذا لم تَستطعْ شيئًا، فخُذْهُ،

ولا تَجْتَزْهُ؛ فَهْوَ سَيَسْتَطِيْعُ!

١- ترانيم

صَرَّحَــتْ بِــالهَوَى	إذْ رَمَــتْ أَجَلِــي
شاهَتِـيْ[١] وانْثَـنَتْ	طِفْلَــةَ المُقَــلِ
مَــنْ رأَى بَيْنَنَــا	فِـتْنَــةَ الغَــزَلِ
....	....
....	....

(١) الشاهَة: أُنثى الشَّاهين، وهو طيرٌ جارحٌ معروف، مِن فصيلة الصقور. وتُسمَّى بلهجة فَـيْـفاء: شاهية. وفي لهجات البادية: شاهَة. ومن أسماء النساء: شاهَة، وشيهانة. وهي معروفةٌ بسعة الحدقة وحِدَّة البَصَر. وربما استُعمل الاسم في مؤنَّث (شاه)، ويعني: مَلِك الملوك بالفارسيّة.

وشِـهابُ الـزَّمَنِ الآفِـلِ يَنْـداحُ ضِـياءً وحُـداءَ

وعـلى ثَهْمَـدَ يَلْتَـاثُ كطَيْفَـيْنِ نُواسًـا وغِنـاءَ

وعُيونًـا سُـحُبًا تَهْطِـلُ خَـيْلًا وخَيَـالًا ولِقـاءَ

وتَسـامَيْتِ بآطامِـكِ كَرْمًـا ونِصـالًا ونِـداءَ

فأَتَيْنـاكِ فُـرَادَى بِخُطًـى تَلْتَحِـفُ العِشْـقَ سَماءَ

....

....

وتَعَلَّقَـتْ لُغَـةُ الجَـوَى قَلْبًـا تَدَلَّـهَ واسْـتَهامْ

أَمَـرَ الأَوانُ زَمانَهـا فَهَفَـتْ حَـمَاماتُ السَّـلامْ

فتَعانَقـا.. مـا غَـاضَ بالصَّـفْواءِ يَنْـبُوعُ الغَـرامْ

نَمَيَا معًا.. دِفئًا يَلُـوْبُ.. ونَشْـوَةُ الوَعْـدِ اضـطِرامْ

....

....

وفي ذاتِ عَصْـرٍ تَسَـوَّرَ طَيْـفُ الغُـرابِ الجِـدارا

غَرِيْـبَ المُحَيَّـا قَرِيْـبَ الحُمَيَّـا تَـدَلَّى ودارا

ومَـرَّ عـلى العاشِـقِيْنَ يُـراوِدُ جـارًا فجـارا

ودارَ.. ودارَ.. ودارَ.. ودارا

وخَلَّـفَ مِــنْ رِيْشِـهِ في القُلُـوبِ الحَيَـارَى..

...

و ط ا ر ا

!!!



٢. البارحة

هُنا وَقَفْتُ البارِحَةْ..

هُنا وَقَفْتِ البارِحَةْ..

والبارِحاتُ مَرَّتْ، يا حبيبتي.. والحُبُّ مرْ

كأُغنياتِ مِعْوَلٍ[1]

تَسيلُ في مَدارجِ الفَضاءْ

عَطْشَى تَشِيْمُ دَمعةَ الـ (دِّ) ماءْ..

أ قُلْتُ: «ماءً»، أم «(دِ) ماءْ»؟!

ففي مَدَى الدَّالِ تَدُوْلُ بَيْنَنا الدُّوَلْ

(١) طائرٌ يصيح في أيّام القحط بصوتٍ حزين، كأنه العَويل؛ ومِن هذا لعلّها اشتُقَّت تسميته بـ«مِعْوَل». وتَزعم الحكايةُ الشعبيّةُ في موطن الشاعر أنه إنما يَستدرُّ السماءَ لتُمطرَ، فيظلّ في صياحه هذا حتى تنزل له من السماء قطرةُ ماءٍ، لتَخْرُجَ منه وقد صارت قطرةَ دَم.

وكالغِناءِ في الصَّباحِ

يُوْلَدُ العَناءُ في المساءْ

وثَمَّ دالٌ تَرشُقُ الحياةَ دائـماً بِلَثْمَةِ الفَنَاءْ

....

لا شيءَ هاهُنا يَعِيْ الْتِفافَ العُمْرِ في مَساربِ الشَّجَنْ

لا شيءَ، يا حبيبتي،

إلّا أنا..

إلّا أنا..

وأنتِ، يا حبيبتي،

وجَذْوَةُ الوَقْتِ المُقِيْمِ بَيْنَنا..

وذاك الشِّعْرُ والوَطَنْ..

خرائطُ الفِتَنْ!

لا شيءَ، يا حبيبتي،

يَرُدُّ شيئًا لم يَشَأْ ولم يَـحِنْ

لا شيءَ، يا حبيبتي،

يَرُدُّ شيئًا لم نَشَأْ

ولم نُرِدْ لَـهُ بأنْ يَحِـيْنْ

ولم نَحِنَّ، نحنُ، يا حبيبتي،

نَحِنَّ، نحنُ، يا حبيبتي،

لهُ بأنْ يَحِـيْنْ

لِيَشْرَئِبَّ مِن دَفاترِ السِّنينِ غُصْنُـهُ..

لَوْ بَعْدَ حِيْنْ

....

وآهِ، يا حبيبتي، لَوْ تَعْلَمِيْنَ..

آهِ، يا حبيبتي، لَوْ تَعْلَمِيْنْ!

فكُلَّما رأيتُ شالَ هذا النَّهْرِ

يَنْـثَني على الضِّياءْ

والآبَـنُـوْسَ غَيْمَتَـيْنِ

حَفَّـتَا الرُّخامَ كالجَـنِـيْنْ

وطافَتِ الأَنامِلُ الحَرِيْـرُ تَغْزِلُ الـمَساءْ

كحُمْرَةٍ

يَذُوْبُها في القُبْلَةِ الأُوْلَى مُهاجِرٌ حَزِيْنْ

وبَيْنَ راحتَيْكِ نامَتْ أُحْجِيَاتُ الحُبِّ والغِناءْ

والوَجْدُ راحَ يَبْـتَـنِـيْ على النَّسِيْمِ مَوْعِدَهْ

وحَدَّثَتْني مِن جَديدٍ قَوْلَهَا غَيْرَ المُباحْ

روائحُ الخُزامِ والبَشَامِ والأَقاحْ..

شَظَّتْ مَرايا اللَّيلِ فِيْكِ

ن / ش / و / ةُ ا / ل / ص / ب / ا / حْ

ودَوَّمَتْ تَجاعيدُ الثَّوانيْ

ب . ا . ر . ح . ةْ

!!!



٢. مُدَّ دَمَك!

مُدَّ دَمَكْ

لستَ تُصافِحُ إلّا يَدَكْ

لستَ تُصافِحُ إلّا دَمَكْ

مُدَّ جَداوِلَ أَدْمُعٍ ودَمٍ تَغَشَّى مِعْصَمَكْ

كَمْ في بَناناتِكَ أطفالًا يَضِجُّونَ.. وكَمْ

في راحتَـيْكَ يَـئِنُّ قَتْلَى وثَكَالَى..

مُدَّها..

مُدَّ دَمَكْ..

ما أَعْدَلَكْ!

....

تَدْعُو لَكَ السُّجُونُ

والسَّهْلُ والحُزُونُ

والمَسْجِدُ المَصُونُ

ومَوْتُنا الفُنُونُ:

أَنْ يَنْصُرَكْ

مُدَّ دَمَكْ

....



٤. فارق التوقيت

بَـيْنَ عِـذْقِ النَّخْلَـةِ الأُولَى ومَوْجَـاتِ الإذاعَـةْ

ونُخَـيْلاتٍ تَهَـاوَى.. فـارِقُ التَّوْقِيْـتِ سَـاعَةْ

مِثْلَما أَنْكَرَ- رُغْمِـيْ- سَيْـفِيَ الهِنْـدِيْ الْتِماعَـهْ

أَنْكَـرَ النَّخْـلُ صَـباحًا في ثَـرَى العَـيْنِ ارتِفاعَـهْ

شَطُّـهُ الأَقْصَى تَعَرَّى شَطْـرُهُ الأَدْنَى مَجاعَـةْ

أَيُّ صُــبْحٍ دَجَّــنَ النَّخْــلَ زُرافــاتٍ ورَاعَــهْ

مَنْ تُراهُ- يا رفيقـي- بـاعَ نَخْـلَ العُمْـرِ، باعَـهْ؟

صَفْقَــةٌ مـا بَعْـدَها للنَّـاسِ في السُّـوقِ بِضـاعَةْ

يا خَرِيْفَ العُمْرِ، لا بُوْرِكْتَ نَخْلًا مِـن وَضـاعَةْ

لَيْتَنـي مـا عِشْـتُ يَـوْمِيْ.. لا، ولم أُدْرِكْ سَـاعَهْ!

صَـفْحَةٌ سَـوداءُ حَسْـبِيْ مِـن سَـوادٍ في نَصَـاعَةْ

سَـطْرُها الأَوَّلُ كِـذْبٌ سَـطْرُها الثـاني لَـكَاعَةْ

- هل لهذي الحَالِ حَلٌّ؟ قُلْ لنـا، يـا ذا البَراعَـةْ!

- حيـنما تُنْـتَزَعُ الـذَّاتُ مِـنَ الـذَّاتِ انْتِزاعَـةْ

قُـلْ عـلى الـدُّنيا سَـلامٌ! كُـلُّ مَعْنًـى كالفُقاعَـةْ!

كُلُّ حَرْفٍ ثـَارَ شَمْشُـوْنًا، فمَـنْ يَلْـوِي ذِراعَـهْ؟

يَرْتَـدِيْ التَّلْمُـوْدَ «بِشْـتًا» ويُصَـلِّي بالجَماعَـةْ!



٥. صوت

ما أَسْمَعُهُ..

هل يَسْمَعُني؟

هَمْسًا يَسْتَلُّكِ مِن شَمْسِــي

يَسْتَلُّكِ مِن أَمْســِي

فيُضيءُ دَمِي

طَيْرًا مِن كَلْماتِ الفِيْدا/

الإنجيلِ/

القرآنِ «الأَصْلِيِّ»

بِرَفَّـتِـهِ

تَتَوارَى صُفْرَةُ صَوْتي

أجنِحَتي الكَسْلَى تَعْشَوْشِبُ أُغْنِيَةً حُوْرِيَّـةْ

إِذْ تَرْقُنُ

بَيْنَ

حَنايا

الرُّوْحِ

مُعادَلةً فَجْرِيَّـةْ

لُغَةٌ أُخرى تلكَ..

هاتي لُغَتي الأُوْلَى

الـ.. تبـْنِـيْ نَخْلِيْ الطُّوْلَى

حَرْفًا

حَرْفًا

رَقْـمًا

رَقْـمًا

في ضَحْوَةِ يومٍ

لا يَـتَجَلْبَبُ أَلْوانًا قَزَحِيَّـةْ

...

ها إنِّي أَسْمَعُهُ..

أو لا..

مَنْ يَسْمَعُهُ؟..

فأنا في ماءِ السَّاعةِ مَغْمُوْسٌ..

لكنِّي أَسْمَعُهُ:

ذِئبًا يَتَخَلَّقُ مِن جُوعي الحافي

يَعْوِيْ بِكِ فِـيَّ

ويَلْعَقُ في صَوتي دَمَــهُ

ليُحِيْلَ اللَّيلَ نهارا

ويَـرُدَّ الهَجْعَـةَ نارا

ويَسُدَّ الأُفْقَ مَحارا

...

أفروديتُ،

ها إنِّي أَسْمَعُكِ..

فإلى مَ، ورَبِّكِ، أُصْغِي وَحْدِي

يَكْلَحُ في وَجْهي وَجْهُ اللَّيلِ . .

تتَراقَصُ قُدَّامِيْ أُنْثَى الغُوْلِ

. . . .

«أَ مَا أَنْفَكُّ مُتَّـكِئًا عليها/ /

لِأَنْظُرَ مُصْبِحًا ماذا أَتاني،

إذا عَيْنانِ في رَأْسٍ قَبِيْحٍ/ /

كَرَأْسِ الهِرِّ مَشْقُوقِ اللِّسانِ؟!»[1]

. . . .

---

(١) البيتان لتأبـَّط شَرًّا. والبيت الأوَّل لديه: «فلم أَنْفَكَّ مُتَّـكِئًا عليها».

وكَهامَـةِ أَمْسِيْ

هامَةُ رَأسي

تَعْوِيْ:

اسْقُوْني!..

اسْقُوْني!..

اسْقُوْني!..

يَرْتَدُّ الصَّوْتُ..

تُناديني:

اسْقُوْني!..

اسْقُوْني!..

مَن لي؟!

لا ماءَ اليومَ ولا خَمْرا

لا خَمرَ اليَوْمَ ولا أَمْرا

لكنِّي أَسْمَعُهُ/

أو أَنِّي أَسْمَعُني؟!..

مِن خَلْفِ فَحِيْحِ السَّدِّ..

مِن بَـيْنِ صَهِيْلِ الرَّدِّ..

وعلى الجُدْرانِ،

يُوَقِّعُ لَـحْنًا مَبْحُوْحًا

وأكادُ أَرَى..

لَـفَـتَاتٍ مِنْهُ تَراني!

تَصْفُوْ بَـيْنَ دَمِيْ وفَمِيْ حِبْرًا أَخْضَرْ

شَلَّالًا عِطْرِيًّا

ما ضَمَّتْ

– يا أنتِ –

في ثَوْرَتِهِ كَغَدائِرِكِ الفِتْـنَـةْ

كسَنابِلَ مِن ذَهَبِ النَّجْوَى

ماجَتْ

تَتَساءلُ في قَلَمي

..

يا لُؤْلُؤَتي،

ها إنِّي أَسْمَعُكِ!
صَوْتًا كَثًّا كالرَّغْوَةِ
يَغْشَاني كُلِّي
يَصْحُو في كُلِّ مَساماتِ النَّمْلِ
بِشِتاءِ الأَريافِ الباكيْ صَيْفَ المُـدُنِ!

...

ها إنِّي
الآنَ بصَوتي أَسْمَعُكِ!

إنِّي...

رِيْحًا تَجري بدِمائي

لكنِّي..

أَخْشَى

أنْ لا تأتي..

أَبَــدًا..

أو أنْ تأتي إذْ لستُ أراكْ!

....



زفراتٌ أُخرى مِن سِفر أيُّوب!

(جِداريـــَّة)

(١)

زَهْرَةٌ بَيضاءُ

على مَفْرِقِ الشَّمْسِ

لاحَتْ،

وبِئْـرُ المعاني العَـتِـيْقَةُ

كانتْ

تَثَاءَبُ..

لِلَّيْلِ خَيْلُ هُبُوْبٍ وللسَّاريات تَـقِـيَّـةْ...

قالَ:

«واعَطَشَ الشَّمْسِ،

وَضْعُ النُّقْطَةِ يُقْلِقُني،

فلقد يَبْقَى

لِشُجُونِ القَوْلِ بَـقِـيَّـةْ!»...

(٢)

بَـيَاضُ الأُنوثةِ وَعْدْ

وتَلْوِيْحُ نَهْدٍ لِنَهْدْ

وأَنْفَاسُ حِبِّكَ دَفْأَى

تَنُوْشُكَ وَصْلًا يَـنِـيْعًا

وكَاذِيَّ بُشْرَى

وكَأْسَيْ حَلِيْبْ

كَعَيْنَي حَبِيْبٍ تُنَاغِيْ حَبِيْبْ

مَساءٌ يَجُوْسُ دُوارَ مَساءْ

وشُرْفَةُ صَيْفٍ

على الضِّفَّـتَـيْنِ

تُسَرِّحُ دِفْءَ صُدَيْرِيَّـةٍ مِنْ غِنَاءْ

كَنَهْرٍ مِنَ الفُلِّ عَذْبًا صَـقِـيْلا

يَـخُطُّ اشتهاءَ الثَّرَى باشْتِـهاءْ

ويَحْتَكِرُ العُمْرَ جِيْلًا فَجِيْلا

بِنَوٍّ كَرِيْمْ

مِنَ النَّارِ فِيْنا

يُساقِطُ كُلَّ سِيَاجِ الحِجَا والتَّأَسِّي

ومَاءٍ عَقِيْمْ

يُساقِطُ فَوْقَ خُدُودِ الرِّمالِ دُمُوعًا نَخِيْلا

نَخِيْلًا تَقَامَأَ حتَّى اسْتَحَالَ

حُرُوْفَ اكْتِئَابٍ كَسَالَى

وَعِذْقَيْ غبَاءْ

أَصِيْلًا وآخَرَ يَبْدُو جَدِيْدَ الجَنَاءْ

وبَيْنَهُما نَفْحَةُ الوَجْدِ فِيْنا تَغَشَّى بِوَجْدْ

«عَرَايا» دَخَلْنا إلى النَّائِباتِ.. «عَرَايا» نَعُوْدْ

وأَعيادُنا مِلْءُ هذا الوُجُوْدْ...

...

وَدُوْنَ الذي كانَ

والـ.. سَيَـكُوْنْ

مِنَ الانتظارِ سَمُوْمُ عُيُونْ

وبَرْقٌ ورَعْدْ

بِمَوْجِ الفُصُولِ الخَؤُوْنْ

بِوَقْتٍ ووَعْدْ

يُقايِضُ وَغْدًا، ووَقْدْ

يُقايِضِ مِنْجَلْ

بِنَجْلاءَ تَـمْشِي الهُوَيْنَى

وأَلْفَ مُهَارٍ

بِأَلْفِ نَهارٍ

يَبِيْعُكَ ماءً بِمِنْخَلْ

وإِنَّ وأَنَّ

بِرُبَّ وقَدْ

وكَفًّا على الرِّيْحِ

تُلْقِي زِمامًا

وتُؤْوِي إليها بَدَدْ

غَدائرُ وَقْتِكَ مُسْتَشْزِراتٌ

تَضِلُّ المَدَارَى بها راتِعاتٍ

بحُلْمٍ ووَهْمٍ وظُلْمٍ وحِقْدْ

وَدَعْ شِقْفَةَ الصَّبْرِ تَـحْتَكُّ في لا مَـحَكّْ

فجِـلْدُ زَمانكَ لم يَـرَ هُدْبُ الصَّبَاحِ

مكانًا لقُرْحِكَ فيهِ

ولا جِلْدَ كيما يُفَدَّى بِجِلْدْ

خَزَايا خَرَجْنا مِنَ النَّائِباتِ.. خَزَايا نَعُوْدْ

وأحزانُنا مِلْءُ هذا الوُجُودْ

...

❄

وليتَ الذينَ أَحَبُّوا

على وَقْعِ أَوَّلِ مَغْزَى

أَحَبُّوا كحُبِّكَ تُفَّاحةَ الـمَوتِ

في ثَغْرِ دَهماءَ

نُوْرَةَ،

نَوْفَ،

عَنُـوْدَ،

ومَـجْدْ!

هُوَ الحُبُّ، حُبُّكَ..

وَصْلًا، وهَجْرًا

يُطِلُّ

على كَلِماتِ الزَّمانِ الشَّقِـيَّـةِ

عِشْقًا يَظَلُّ

يُهاجِرُ بَـيْنَ حُطامِ الموانئِ

شَوْقًا، وشَوْكًا،

وبَيْتًا، وبَـيْنًا،

وصَدْرًا، وصَدْ...

وماذا؟

ستَشْرَبُ نَيْزَكَ قافِيَةٍ مِن نِصالِ العَشَايا

لتُعْشِبَ في مُقْلَـتَـيْكَ نَيازِكَ سُهْدْ

لِشَامٍ يَكُوْسُ جَنُوبًا

وقِبْلَةِ شَعْبٍ شَمالًا تُهَـدْ

تُشَقِّقُ ظَلْماءَها بِعُيُونِ الضَّحَايا

الشَّهيدةِ فيها

تُضِيْءُ حُرُوفًا

تَرِفُّ صُرُوفًا

تُسافِرُ في جَسَدِ الصَّبَواتِ

لتَفْتَحَ في خاطِرِ المَوْتِ بابًا خَضِيْلا

يُعارِضُ تَـيَّارَ نَهْرٍ صَبِيٍّ بِتَـيَّارِ نَهْرٍ جَـمَدْ

وتَحْلِفُ أنَّ غَدًا في يَدَيْها

يَمامةَ ذِكْرَى

وأَزْهارَ دِفْلَى

وفَجْرًا صَبُوحًا

ولا بُدَّ ممَّا غَدَا في يَدَيْها

ولا بُدَّ ممَّا..

غَدَا وهْوَ غَدْ

❄

وَيُبْسَطُ صَوْتٌ مِنَ الذَّارياتِ

مِنَ الحامِلاتِ

مِنَ الجارياتِ بما تُوْعَدُون

يُعانِقُ صَمْتًا

تَوَكَّأَ ظَهْرَ النَّهارِ العَجُوزِ- الوَلَدْ:

أَ عِنْدَكَ فَهْمٌ

أَ عِنْدَكَ رَدْ؟:

على أَيِّ شَيءٍ تَقِرُّ القَواعِدُ؟

أينَ الطَّريقُ إلى حيثُ يَسكُنُ هذا الضِّياءُ

عُيُونَ الظِّباءِ

ويَغْمُرُ بـ«الله أَكْبَرُ» غَيْظَ المساجِدِ؟

وا غَبَشًا مِن طُيُورِ الأَذانْ

تَفَجَّرَ «خَيْرًا مِنَ النَّوْمِ»

«خَيْرًا مِنَ اليَوْمِ»

يَوْمًا تُصَلِّي وُجُوهُ عَرُوْبَةَ فيهِ بِوَجْهِ الأَحَدْ

فتَبْكي لِأَيُّوبَ

في أَرْضِ عُوْصَ

شُؤُونُ المَدائنِ

ناحَتْ تُغَنِّي

ومِلْءُ غَمامةٍ فِيْها بِمِلْءِ غَمامةٍ فِـيْ

على النَّصْبِ لَـحْنًا شَبِيْهًا بِلَحْني:

أَعِنْدَكَ فَهْمٌ

أَعِنْدَكَ رَدْ؟:

بِصَدْرِكَ

أَعناقُ نارِ الحِرارِ القَديمةِ

دارتْ

تُعانقُ في صَفَحاتِ صَباحِكَ

حِبْرَ الجَديدِ

وشَمْسَ الأَجَدْ

تَخَطَّفُ في عَبْسَ دارًا فَدارا

وما إنْ لها (خالدُ بنُ سِنَانْ)

فَـيَخْضَرُّ وَشْمُ التَّخالُفِ

وَشْمُ التَّحالُفِ

عارًا فَعارا

بِكُلِّ غُمُوضِ الجِراحِ البَـيَانْ

بِسِنْخِ الأَدِيْمِ

بِجَمْرِ الوَرِيْدِ

بِصَرْخَةِ دَمْعِ الوَلِـيْـدِ

تَصَلَّتْ خُطَاهُ بِرَمْضَايَ نارا

وأَرْكُضُ.. أَرْكُضُ

لا ماءَ في الأرضِ عِنْدِي

وما لِيْ يَدانْ

فمَنْ لِيْ هنالِكَ؟

مَنْ لِيْ..

بِدَمْعَةِ ماءٍ؟

ومَنْ لِيْ بِيَدْ؟

وَمَنْ لِيْ

بِأُخْدُوْدِ هذا الزَّمانْ

بِبَرْدِ الخَلِيْلِ الوَقُوْدِ الأَشَدْ؟

وتُعْشِبُ أَصْدَاؤُهُ

فِي عُرُوقِ المكانْ

تُـمَـوْقِـعُـنِـيْ فِي دُخانِ التَّمَنِّي:

أَعِنْدَكَ فَهْمٌ

أَعِنْدَكَ وَهْمٌ

أَعِنْدَكَ رَدْ؟:

أَ ثَمَّةَ يَبْقَى بِثَوْبِ الحَريقِ قَمِيْصٌ وَقَدْ؟

يُواري بِعَيْنِكَ سَوْءَةَ هذي الأَثافيْ/

القَوافيْ/

الـمَنافيْ؟

أَ يَبْقَى على الأُفْقِ ثَمَّةَ أُفْقٌ وَمَدْ؟

وأَنَّى..

وهذا المَدَارُ رِتَاجٌ وحارِسْ

تَطِيْرُ النَّوارسْ

ويُوْرِقُ بَيْرَقْ؟!

(٣)

شاخَتْ عَصَـايَ وشَـابَ الشَّـوقُ فاتَّـــحَدا

عُمْـرَيْـنِ ما غـادَرا في العُـمْـرِ مُلْـتَـحَـدَا

شـــاءَتْ عــلى المَـوْجِ آيــاتُ الزُّبَــى لَـبَـثــًا

لَيْتَ اللَّيالي انْهَـوَتْ- مـا أُمِّـــلَتْ- قِصَـدَا

يَبْغِيْـكَ، مـا تَـبْــتَغِيْ مِـنْ طَيْــرِهِ، قَـنَصٌ
رَدَّ البُــــزَاةَ عــــلى الرَّامِيْـــهِ مُنْـــــفَرِدَا
قَبْلَ المَغِيْبِ.. وَحَامَ القَـوْلُ بِــيْ- وَحِـلًا-
يــا آفِــلَ العُــذْرِ في عُــذْرٍ غَــدَا بَلَــدَا
مــاذا أَراكَ، وإذْ خاطَــتْ نَــواكَ دُجًــى،
إنْ نُحْتَ، ناحَتْ سُدًى، أو بُحْتَ مُفْـتَـئِدا
أَهْجُوْكَ- يا نحنُ- أَمْ تَهْجُو؟!.. فلستَ سِـوَى
مــا خَطَّــهُ القَــدَمُ المــائِيُّ، أو وَخَــدَا

كُلُّ الذي في ذُرَى صَارِيْكَ صُغْتَ ضُحًى

يَهْفُــوْ عليــهِ جَناحــا جــارِحٍ رَصَــدَا

لا يَسْــلَمُ الــوَشْيُ في كَفَّيْــكَ.. في لُغَتِــي..

أو تَشْتَــفِي مِنْــهُ كَــأْسٌ أُتْرِعَــتْ كَمَــدَا

قُــلْ لي، بِرَبِّــكَ، كَــمْ في غَمْــرَةٍ سَــقَطَتْ

أَفْعَــى تَــمُدُّ لِسَــانَ المَــوْتِ مُـنْــجَرِدَا؟!

وأنــتَ.. مــا أنــتَ؟!.. لا رَكْــبٌ تَعِــزُّ بِهِــمْ

ولســتَ، يــا سِــنْدِبادَ التِّيْــهِ، مُـجْـتَــهِدَا

أَسْرَجْـتَ بِـيْ دَقَـلَيْ نَـاءٍ ومُنْتَبَـذٍ

يَنْـأَى كَمُقْـتَرِبٍ يَـدْنُو كَمَـنْ بَعُـدَا

نُبِّـئْتُ وَجْهَـكَ في التَّـيَّارِ لـيسَ مَـدًى،

نُبِّـئْتُ أَنَّ دُوَارَ البَحْـرِ قـد حَشَـدَا

وخِلْـتُ سَـيْفَكَ كالإِصـباحِ مِـلْءَ يَـدِيْ

يُقْرِيْـكَ أَنَّ صَـبَاحَ الخَيْـرِ قـد أَفِـدَا

فاعْطِفْ على مُحْـتَـبَى مَـوْجِ الزَّمـانِ وَعُـدْ

في كَأْسِـكَ القَـيْظُ والأَنْـواءُ فِـيَّ يَـدَا!

تُـمْطِرْ «شَبَابِيْكَ» وَصْلٍ أَيْـنَـعَتْ كَـدَمِيْ

فَواكِـهَ الشَّـوْقِ لِلآتِـيْكَ فِيْـكَ غَـدا

....

....

شـابَتْ عَصـايَ وشـاخَ الطِّفْـلُ فاتَّقَـدَا

فاسْأَلْ سُـؤالَ ضَرِيْـرِ الرَّمْـلِ: مـا وَجَـدا؟!

....

....



(٤)

- «لا..

ما لَكَ مِن سِجْنِ التَّارِيْخِ بِصَدْرِكَ مِن مَنْجَى..

غَيْرُ السِّجْنِ!..

فَلْـتَـتْـبَعْني!»

...

قالَ الوَقْتُ..

ومَضَى يَسْتَلُّ خَناجِرَهُ في صَدْري

- «هل تَدْرِي!

أَيَّ هَوادِجَ تَحْمِلُها فِيْكَ الأيـَّامْ؟!

أَمْ أَيَّ ظَعائنَ

أَيَّ طَعائنَ

أَيَّ عِظامْ؟!»

قالَ الوَقْتُ..

ومَضَى يَسْتَنُّ دَياجيرَ الأقلامْ..

❄

يُمْلِـيْ:

- «اكْتُبْ أَوْرِدَتِـيْ!»

ها أَكْتُبُ فاتِـحَةَ النَّجْوَى

وأَخُطُّ على شَفَـتَـيْـها نَوْرَسَةَ العُنوانْ..

...

- «إنْ خانَكَ وَقْتُكَ،

فاكْـتُـبْـهُ!

تَستيقظْ رائحةُ السَّلْوَى

وتَعُـبُّكَ ذاكِرةُ النِّسيانْ!

أُكْتُبْ ذا المَشْهَدَ

مِنْ دَمِهِ،

اكْـتُـبْـهُ..

حِرْزًا..

نَقْشًا بُرْكانِـيًّا..

واحْـمِلْـهُ.. كَلُؤْلُـؤَةِ الأَعْشَى الزَّهْرَاءِ

تُعانِقْ بَوْصَلَةَ الإيمانْ!»

❄

- «لا.. ليس مَداكَ مَدَى الرُّؤْيا

لا.. ليس زَمانُكَ هَيْلَمَةَ الأحلامْ

حيث الطَّيْفُ البُودْلِـيْـرِيُّ

القَنَّاصُ ضُحًى نَـبْضَ الأَقدامْ

...

فاصعدْ وَقْتَكْ!

سَيْفًا..

سَيْفًا

حَرْفًا..

حَرْفًا!»

قالَ الوَقْتُ..

- «كيما تَجْتَاحَ بِعُمْرِكَ عُمْرًا آخَرَ،

طِفْلًا ما،

بِكَ يَجري فِـيَّ بِشَارَةَ بَدْءٍ؛

كي تَجري بِـيْ فِيْكَ بِشارةُ هذا الإِنسانْ!»

...



(٥)

ولقــد وَهِلْــتُ بِــأَنَّ لِلْمَســـْرَى يَــدًا

بَيْضَــاءَ تَهْمِــيْ ثُــمَّ تَــحْمِــيْ مــا تُرِيْــدُ

فَلَــرُبَّما صَـــبَحَتْكَ مـــا لا تَشْـــتَهي

ولَــوِ اشْـتَهَيْتَ لَفـاضَ بالكَـأْسِ الصُّــدُوْدُ

لَوْ أَنَّ رَبـِّي لـم يُـفَـجِّـرْ فــي الضُّـلُو

عِ شُمُوسَــها، مــا بَــشَّ بــالوَرْدِ الوَرِيْــدُ!

لَـــوْ أَنَّ رَبـــــيِّ لم يُلَـــوِّنْ بـــالطِّا

حِ جَناحَهـــا، مــا طــارَ بــالفَجْرِ الوُجُــوْدُ!

لَـــوْ أَنَّ رَبـــيِّ لم يُـــدِرْ بَـــيْنَ الزَّمـــا

نِ وبَـيْنَـــهُ مِـــن رَحْـمَـــةٍ جِسْـــرًا يَـــذُوْدُ!

الرياض، ١٤١٩هـ.

مُكاشَفَاتٌ أخِيْرَة

في مَهَبِّ اللَّيل

مُكاشَفَاتٌ أخِيْرَة في مَهَبِّ اللَّيل

(في ذِكرَى سُقوط قرطبة.. غرناطة.. بغداد.. إلخ.. إلخ.. إلخ)

أَطْفِــئْ سُــؤالَكَ؛ مَــوْجُ اللَّيــلِ مُعْتكِــرُ

والفَجْــرُ مُــرتَهَنٌ، والوَقْــتُ مُحْــتَــكَرُ!

والــرِّيْحُ تَشْــكُو، يَطِــيْــرُ الشَّجْــوُ أَغْرِبَــةً

تَطْــوِي الفَضــاءَ، وســالَ الــنَّجْمُ والقَمَــرُ!

أَطْفِــئْ سُــؤالَكَ؛ مــا في الشَّــكِّ مِــن أُفُــقٍ

إلى المَسِــيْرِ، ولا في الظَّــنِّ مُــخْــتَــبَرُ!

هــذا المَــواتُ تَنامَــى فــي مَحاجِرِنــا

حتـى تَنـاهَى بنـا فـي عُمْـرِهِ العُمُـرُ!

يَسْتَــفُّ في هَــبَواتِ الصَّــحْوِ قَهْوَتَنــا

كــما يُسَــفُّ بِمَــتْنِ القَفْـرَةِ الأَثَــرُ!

يَـدُقُّ فينـا عَمُـوْدَ البَـيْتِ، مِـن يَـدِنا

يُـبَـعْـثِـرُ الشَّمْسَ، والآمـاسَ يَأْتَـسِـرُ!

❄❄❄

أكُلَّـما اعْشَوْشَـبَ العُـوْدُ الحَرِيْـرُ شَـذًى

فـي الأُغنيـاتِ تَـداعتْ عِنْـدَكَ الذِّكَـرُ؟!

فاستَعْبَرَتْكَ غَضًا ، يَهْمِي الحُرُوْفَ ، على

جُرْحِ الغَزالِ ودَرْبٍ خاذِلٍ تَزِرُ!

على النَّخِيْلِ ، تُبَكِّي كَفَّ غارسِها،

تَغرَّبَتْ حِقَبًا ، واجْتَثَّها الصَّبرُ!

ما شَلَّ كَفَّكَ في أَقْصَى مَغارِسِها

قد شَلَّ قَلْبَكَ.. والدُّنيا هَوًى غِيَرُ!

❄ ❄ ❄

ماذا تُريدُ، ولَوْنُ الصِّدْقِ مُنْخَطِفٌ

في ناظرَيْكَ، ولَوْنُ الكِذْبِ مُزْدَهِرُ؟!

مـــاذا تُريـــدُ، مِـــزاجُ الحِـبْــــرِ أسـئلةٌ

غَرْثَـى، وأَجْوِبَـةٌ كـالقَحْطِ يَنْـتَـشِــرُ؟!

مـــاذا تُريـــدُ، مِـــزاجُ الحِـبْــــرِ لا لُغَــةٌ

مِــنَ الحَيــاةِ، ولا دِيْــمُ الحَيَـا مَطَــرُ؟!

يــا مَــنْ إذا أَقْـرَأَتــكَ الـرِّيْحُ يُوسُــفَها

أَطْـبَـقْتَ فَـوْقَ كِتـابِ الصَّـدرِ تَذَّكِــرُ!

أَطْبَــقْتَ فَـوْقَ شِـفاهِ البِئْـرِ تَشْــرَبُني؛

مــاءُ الطَّوَايَــا دَمِــيْ، يَصْـفُو ويَنْكَـدِرُ!

مــاذا تُريــدُ، وكُــلُّ الصَّــافِناتِ لهــا،

مِنْ نَخْوَةِ الخَيْلِ، ما يـا أنـتَ لا تَفِـرُ؟!

❄❄❄

أَمِـطْ قِناعَـكَ! ثُـمَّ احْلُـمْ بِـما خَبَـأَتْ

لَـكَ العُـذُوقُ مِـنَ اللَّــذَّاتِ تَبْتَـدِرُ!

واقـرأْ قَضـاءَكَ! يـا مَـنْ كُـلُّ جارِحـةٍ

فيكَ استدارتْ عـلى لَيْـلٍ بهـا الـدُّسُرُ!

أنـتَ القَضـاءُكَ! مـا نامـتْ لَـهُ مُثُـلٌ،

عـلى الـتِّراتِ، ولا عَيَّـتْ بِـهِ البُكَـرُ!

كَمْ ذا تُطابِعُ فِيْكَ الجُزْرُ جازِرَها؟!

هَلَّا تَطَابَعُ فيما بَيْنَكَ الجُزُرُ؟!

❄❄❄

مَسْراكَ يَحْمِلُ في تابُوتِهِ صُوَرًا

خَضْرَ الهَوَى، عُرُبًا، يا حَبَّذا الصُّوَرُ!

تَبْكِيْكَ في سِرِّها، حَيًّا ومَيِّتَةً:

عارٌ عليكَ دَمِيْ والسَّمْعُ والبَصَرُ!

رُوْحُ الشَّهِيْدِ تُرَى غَيْداءَ فاتِنَةً

ورُوْحُكَ السَّمْجُ يَبْقَى فيكَ يَنْتَحِرُ!

لا فــي الحيـاةِ يُعَـدُّ، إنْ شَـبَـا خَبَــرٌ

عـلى الشِّـفاهِ، ولا فــي المَـوْتِ يُعْتَـبَــرُ!

أَعْجَـزْتَ وَصْـفَكَ: مـاذا أنــتَ في سَـفَرٍ

تُـبْـنَى عليكَ لَـهُ مِـن عَظْمِـكَ الجُسُــرُ؟!

وأنــتَ فــي شِيَــةِ الثَّاوِيْــنَ مُنْتَــفِشًا

نَفْـشَ الحُبـارَى جَنَاحًـا هَـدَّهُ الذُّعُــرُ!

إنْ صــالَ بـــازٌ عــلى أُمِّ البُغَــاثِ، نَــزَا

فَـرْخُ البُغاثِ عـلى الأَفْـراخِ يَـنْـتَسِــرُ!

أو جارَ رَبُّ الجِوَارِ الغَضْـبِ فــي بَلَـدٍ،

سَرَى الهُــمَامُ عــلى الجَــاراتِ يَـثْـتَـئِــرُ!

مــا هــانَ يومًــا عــلى الــدُّنيا وآهلِهــا

كَمَــنْ يَهُــوْنُ وفيــهِ الأرضُ والبَشَــرُ!

ولا اســتراحَ عــلى رَأْدِ الزَّمــانِ ضُــحًى

مَــنِ اســتراحَ وســارتْ دُوْنَــهُ السِّيَــرُ!

❄❄❄

أَعْـرِبْ لَهَاتَـكَ أو أَعْجــِمْ ، فقـد هَرِمَـتْ

كُـــلُّ القَناديـــلِ ، لا زَيْـــتٌ ولا شَرَرُ!

لا النَّـشْــرُ يَبْعَــثُ في الأَجــداثِ مُنْــتَفِضًا

مِـنَ الـتُّرابِ ، ولا ذا الشِّعْــرُ والعِـبَــرُ!

عَمِّـــدْ لِســانَكَ ، أو حَــرِّرْ ، فــما لُغَــةٌ

عــادتْ لهــا شِـيَمُ الأَعـرابِ تَنْكَسِــرُ!

لا تَلْـتَـفِـتْ أَبَـدًا ؛ قِطْـعُ السُّرَى حَجَــرٌ،

يَحْصِــبْكَ منــهُ لســانٌ ، أو يُصِــبْ نَظَــرُ!

حَصِّنْ حِصـانَكَ ، لا هـانَ الخيـولُ! غَـدًا

يَأتـــيكَ دَوْرُكَ ؛ فـــالجَزَّارُ يَنْتَظِـــرُ!

❋ ❋ ❋

لكنَّهـا ثَــوْرَةُ التَّكْــوِيْنِ فــي جَسَــدي،

كَمْ تَسْتَـفِـيْـقُ، وتَعْلُـو حَوْلَهَـا السُّــوَرُ!

ألــيس مِنْــكَ لنــا حُلْــمٌ يُصــافِحُنا،

إلّا الفَنــاءُ، وإلّا النَّـــوْحُ والكَــدَرُ؟!

كُــلُّ الهَـزائمِ، فـــي أَوْهَــى بَـيارِقِــها،

هَزِيْمَةُ الـذَّاتِ، مـا دارتْ بهـا الفِكَــرُ!

❄❄❄

مــاذا تَقُــوْلُ.. متَــى؟.. مَـلَّ القَصـيدُ، ومـا

عادَ الطَّرِيْـقُ عـلى التَّسْـــيارِ يَصْطَـبِــرُ!

هذا خِطابُكَ فـي الصَّيْفِ العَتِـيْــقِ ، لَكَـمْ

صافَـــتْ سَـــنابِلُ لَيْـلٍ مِلْؤُهـا تَـتَـرُ!

يا حاديَ العِـيْسِ.. هذي عِــيْسُنا بَلِــيَتْ

مِـنَ الـدُّوَارِ عـلى الأَعْصَـارِ تعتصـــرُ!

يــا حـاديَ العِـــيْسِ.. إنِّي لا أَرَى!، وأَرَى

في صَـــوْتِكَ الآلَ ، يَطْفُـو ثُـمَّ يَنْحَــدِرُ!

مــاذا تَقُــوْلُ تُـــرَى : «إنَّ المَـــدَى زَبَــدٌ،

والـدَّرْبُ مُبْتَسِــمٌ ، والغَيْـثُ مُنْهَمِـرُ؟!»

مــــاذا أَقُـــوْلُ أَنَـــا : «إِنَّ السُّـــــيُوفَ دَمٌ،

والعِرْضُ لُؤْلُؤَةٌ، والجَيْشُ مُنْتَصِـــرُ؟!»

مــاذا أَقُــوْلُ هُنــا ، إنْ شِــئْتَ قُلْــتُ إذنْ:

«لَـنْ يَأْتِـــيَ الـدَّوْرُ والجَـزَّارُ يُحْتَضَــرُ»..

لكــنَّ مِــن خَلْفِــهِ أَلْفًــا عــلى كَتِفــي؛

مـا دُمْـتَ نَحْـنُ فـما لِلْجَـزْرِ مُزْدَجَـرُ!

❄❄❄

لــمْلِمْ شَـتاتَكَ! وَجْـهُ اللَّيـلِ مُعْتَــكِرُ،

والصُّبْحُ مُرْتَهَــنٌ، والوَقْتُ مُـحْـتَـكَــرُ!

واقــرأْ قَضــاءَكَ! يــا مَــنْ كُــلُّ جارِحــةٍ

فيكَ استطارتْ عـلى فَجْـرٍ بهـا الـدُّسُرُ!

قــد هــانَ جِــدًّا عــلى الــدُّنيا وآهلِهــا

مَن هـانَ يومًـا وفيـهِ الأرضُ والبَشَــرُ!

مســتفعلنْ فــاعلنْ مســتفعلنْ فَعِلُــنْ

مســتفعلنْ فــاعلنْ مســتفعلنْ فَعِلُــنْ

....

....

قُمْ فالتَقِطْكَ- فَتًى- واضربْ سبيلَكَ! قُمْ!

نَوْءُ السِّنِـيْنِ بِنَـوْضِ الشَّـوْقِ يَسْـتَعِرُ!

قُـمْ فالتَقِطْـكَ؛ أساطير الـرُّؤَى الْتَحَمَـتْ

بِنَـافِـرِ الـدَّمِ: تَـرْفُـوْهُ ويَـشْـتَجِـرُ!

قُمْ، أَيُّها المارِدُ، اسْتَخْرِجْ خُطـاكَ، وقُـلْ:

«في وَجْهِ هذا السَّوادِ البَـحْرُ والسَّفَـرُ!»

....

....

يـا قُرْطُبِيَّـاتِ مـا يأتــي ، أَتَــيْتُ غَـدًا،

ولم أَجِـدْكِ ، سـآتــيْ والهَـوَى بَصَـــرُ!

يا أيُّها المَسْجِـدُ الأَقْـصَـى : السَّـلامُ دَنَـا؛

فادْخُلْ ، عليكَ سـلامُ اللهِ ، يـا عُمَـرُ!...

الرياض، ١/ ١/ ١٩٩٨.

مُهْرَةُ الشَّمس

هذه القصيدة فازت بالجائزة الدوليَّـة الأُولى في المسابقة الشِّعريّة لمهرجان «الأقصى في خَطَر (الرابع عشر)»، المُقام مساء الجمعة ٢ أكتوبر ٢٠٠٩م الموافق ١٣ شوّال ١٤٣٠هـ، في مدينة أُمِّ الفحم بفلسطين المحتلَّة.

مُهْرةُ الشَّمس

علـــى شَفَـــةِ النُّـــوْرِ أَشْـعَلْتِ غَـيَّـــا

يُعِـيْـــدُ مَجَـــاليكِ شَـــدْوًا وضَـــيَّـــا

يَضُـــــمُّكِ رابِيَـــــةً مِـــــن أغــــانٍ

ويَجْـثُـــو عـلى رُكْـبَـتَـيْــكِ مَـلِـيَّـــا

يُـفَـتِّـــش أوراقَ شِــــعري لَــــدَيْكِ

لأَقْـــرَأَ فَـجْـــرًا تَعَـــرَّى شَـهِـيَّـــا

يُـدِيْـرُ شَـذاهُ علـى بـابِ رُوْحِـي

فإِنِّـي أَراهُ حُـقُـولًا وَرِيـًّا

وإِنِّـي أَراهُ بِعُمْـري يَـلُـوبُ

يُطَـوِّقُ شِعْـرِي حُـرُوفـًا قِـسِيًّـا

❄❄❄

حَبِـيْـبَـةَ شِعْـرِي أَبِـيْـنِيْ، حَـرامٌ،

أَبِـيْـنِيْ، فـما كُنْـتُ يَوْمـًا نَـبِـيًّـا

لِأَعْلَـمَ فـي أَيِّ نَجْـمٍ هَطَـلْتِ

وأَيَّ عُـيُونِ الـمَـهَا يَـتَـفَـيَّـا

وما كـانَ عُمْـريْ سِــوَى مُقْلَـتَــيْكِ [م]

وهل كُنْـتِ أنتِ سِـوَى مُقْلَـتَـيَّـا؟!

ومـا كُــــنتِ إلّا انْفِــلاتَ الحَدائـــــ

ـقِ، رُوْحـًا ثَرِيــًّا، ونُــوْرًا نَدِيَّــا

وإنســانةً مِــن هُـجُــوعِ المَـرايــا [م]

تُـفَـتِّــقُ أُفْـقــًا وَلِـيْــدًا جَنِـيَّــا

يَلِـيْــقُ بِسَـيِّــدَةٍ مِــن نُضَــارِ الــــ

ــمَعاني تَـصُــوْغُ الذَّكــاءَ حُلِـيَّــا

كَمُهْــرَةِ شَمْــسٍ تُـثِــيْرُ العَشايـــا

وتَعْــنُـــوْ بِعُمْــري نَهَـــارًا فَـتِـيَّـــا

كفاكِهَـــةٍ مِـــن لُعـــابِ الخَطايـــا

تَضُـــمُّ فَـتَـــاةً تَضُـــمُّ صَبِـيَّـــا

رأيـتُــكِ وَعْـــدًا علـــى شَفَـتَـيْــها

يُنَمْـــنِمُ وَجْـــدًا علـــى شَفَـتَـيَّـــا

بياضًـا مِـــن الغَـــيْبِ يَغْــشَى مَـــداهُ

مَدَى اللَّـونِ، واللَّحْـنِ، مِـنِّي، وفِـيَّـا

❄❄❄

فيـا أنتِ، يـا كُــلَّ قَطْــرِ الدَّوالــي

وكُلَّ الـمُـجَلـَّى وكُــلَّ المُـزَيـَّــا

رُهَــابُكِ يَجتــاحُ مِــنِّي زمانـــي

يُبَعْـثِـرُ فــي لُغَتي مـا تـَهَـيَّــا

فأَرْتَــدُّ طِـفْــلًا علــى راحتَــيكِ

تُعِـيْدِيْنَ فـي مُـقْـلَـتَـيْـهِ الحُمَـيَّــا

تُعِـيْدِيْنَ تَـكْـوِيْـنَـهُ مِــن جَديــدٍ

كَـأَنْ ليسَ مِـنْ قَـبْلُ قد كانَ شَـيَّــا

تُـرَبِّـيْنَ فـي رِئَـتَـيْـهِ انْـتِـفـاضَ الصَّـ [م]

ـباحاتِ ، صَوْتـًا حَـنُوْنـًا ، جَـرِيًّـا

يُطِـلُّ على صَفْحَـةِ القَلْـبِ عَمْـدًا

ويَمْـشِـيْ علـى نَهْـرِ مَـوْتِـيْ، بَـرِيًّا

فأَعْـدُو، حِصانًـا أصـيلًا ، وأَغْـــدُو

إلـى فَـجْــرِ أَمْـسِـي، إلـيكِ ، إلَـيَّــا

❄❄❄

فَمَـنْ أنتِ، يا شَهْـدَ عِـشْقِـيْ ونـاري؟

لكَـمْ كُنْتُ فِـيْكِ السَّعِـيْـدَ الشَّقِـيَّـا!

تَـرُوْمـــِيْنَ تَحْطِـــيْمَ كُـــلِّ حُـــدُوْدِي

وتَـبْـغِــيْنَ جَعْــلَ المُحَـــالِ يَـدَيَّـــا

أراكِ .. كـأَنِّـــــي أراكِ .. ولكــــــنْ

لـمـاذا تُـغَـطِّـيْنَ وَجْـهًـا جَـلِـيَّـا؟

كَوَجْـهِ فِلَسْطِـيْنَ وَجْهُكِ، يَخْمِــشُ [م]

عَـيْـنِـيْ، قَـرِيْـبًـا .. بَعِـيْدًا .. لَـدَيَّـــا

رَهِـيْنَ المَحابِــسِ، ذِئــبًا تَـمـــادَى

ودارًا بَــواحـــًا، وأُمـًّــا بَـغِـيَّـــا

و«أزلامَ» عَهْـدٍ شُكُـوْلَ النَّوايــا،

تَــهُـبُّ كلامـًا ، وتَعْـدُوْ جِثِـيًّـا

سُهَيْـلِيَّةٌ فـي هواهـا ، فمَــنْ لــي،

بِـغَـيْـرِ هَـواهـا ، ثَـرًى أو ثُـرَيًّــا؟

أُشَـبِّـهُ بَعْـضِـيْ بِـبَعْضِــيْ، لأَنــِّي

أراكِ كَـكُلِّــيْ، مَســاءً شَـجِـيًّـا

❄❄❄

أَتُــفَّـاحَـةَ الحُـلْمِ، وَقْـتِــيْ هَـبَـاءٌ

وأنـــتِ هُـــنالِكِ، وَقْـتًــا بَهِـيًّــا

مَتَى فِيْكِ يَـفْـنَى السُّؤالُ ، لِـيَـحْـيَا

جَــوَابُ الأُنُــوْثَــةِ فِــيَّ سَـوِيَّــا؟

فكُـلِّـيْ انْـتِظـارُكِ ، أَسْنَـدْتُ ظَـهْـرِيْ

جِــدارَ اللَّيالــيْ العَجُــوْزَ القَمِـيَّــا

وكُلِّـيْ انــْتِظـاريْ، ويَـنْـهَـدُّ ظَـهْـرِيْ

وظَـهْـرُ الجِــدارِ يَـظَــلُّ عَـصــِيَّــا

أُسَـجِّــلُ مِــنْ خَـلَــدِ الأُمْـنِـيَــاتِ

علــى خَلَــدِ الأُفْــعُــوَانِ المُـهَـيَّــا

أَخُطُّكِ: ما لم تَقُلْهُ القَوافي

وأَمْحُوْكِ: دِيْوانَ شِعْرٍ غَبِيًّا

لأنَّكِ رُغْمَ يَقِيْنِيْ وشَكِّي

تَنَامِيْنَ فِيَّ: صَلاةً.. كَمِيًّا

أَشُمُّكِ: فاغِيَةً مِنْ سَلامٍ

وأَشْجَاكِ: مَوْتًا رَهِيْفًا شَذِيًّا

طُلَيْطِلَةٌ في تَفاصِيْلِ صَوْتِي

تُغَنِّيْكِ شَوْقِيْ، هَوًى بابِلِيًّا

تَـدُوْرِيْـــنَ مِـنِّـــي مَـــدارَ انْـتِـمائِـــيْ

جَـناحـــاكِ مـــاءٌ تَهَـمَّـــى هَـنِـيَّـــا

فيا مَسْجِــدِيْ أنـتِ، أَقْــصَاكِ فِــيَّ

وأَقْصَــايَ فِــيْكِ، كَـلِيْـــهما قَـصِيَّـــا

تُـطِلِّـيْـنَ يومًا على سَطْحِ شِعْـرِيْ؟

كما كُـنْتِ، وَعْـدًا سَـخِـيًّا وَفِـيَّـــا؟

❄ ❄ ❄

أَجَـلْ، حِـيْنَ تُـوْرِقُ فِـيْكَ الخُـيُــوْلُ

حُـرُوفًـــا عِـتـاقًـــا وحُـــرًّا أَبِـيَّـــا

أَجَـلْ، حِـيْنَ تَـنْـسَى الجِـدارَ العَجُـوزَ

وتَـمْضِــيْ إِلَــيَّ .. إِلَــيَّ .. إِلَـيَّــا

أَجَـلْ، حِـيْنَ تَـحْـيَـا صَدِيْـقًا لِـيَوْمِـي

..صَدِيْـقًا لِـحُلْمِـيْ.. بأمْسِـيْ حَـفِيَّـا

❄❄❄

حَبِـيْـبَـةَ شِعْــرِيْ، سَــلامٌ عَلَـيْــكِ

.. إليـكِ أَتَـيْتُ .. سَــلامٌ عَلَـيَّــا

فيـا لَـيْتَنِي قَــبْلُ قــد كُــنْتُ مَيْـتًــا

ويـا لَـيْتَنِي مِنْـكِ لـم أَبْــقَ حَـيَّــا

لقــد يَـجْمَــعُ اللهُ كُـــلَّ الـمَـنايــا

وكُـــلَّ الحَــياةِ لنــا فــي مُـحَـيَّــا

الرياض، ٢٠٠٢.

أميرة الماء

أميرة الماء

مَوْجٌ على مَـوْجِ الهَـوَى يَـتَـكَسَّــرُ

ومَدًى يُسافِـرُ فـي مَـدَاهُ ويُبْحِـرُ

والبَحْــرُ أيــَّامِيْ ، تُخِــبُّ خُيُولَهَــا،

أسَــفًا يَــرُوحُ ، وبَهْجَــةً تَـتَمَطَّــرُ

كُلُّ الذينَ رَأَوْكَ في حَـدَقِ الصُّـوَى

بَصُرُوا بِعِشْقِكَ ، إنَّــما لم يُبْصِــروا

بَصُرُوا بـأنَّ أَمِـيْـرَةَ الـمَــاءِ التي

وهَبَـتْـكَ نَوْأَكَ أَمْـرُها لا يُـقْـهَـرُ!

❋❋❋

المَغْـرِبُ الأَقْصــَى علــى أَهْـدابِها

شَرْقٌ، يَزُفُّ جَـنَاهُ طَرْفٌ أَحْـوَرُ!

مِن صَقْرِ فَوْدَيْها إلـى عُشْبِ الفَلا

خِشْفانِ، حَفَّهُما الفُتُـوْنُ الأَكْبَــرُ

وعلى نَوارسِ رُكْبَتَــيْها رَفْــرَفَتْ

أشواقُ أَيَّـاميْ، ومَــارَ المَـرْمَــرُ!

وَلها على أُفُـــقِ الزَّمـانِ تَـوَقُّـدٌ

وَلهـا علـــى أُفُـــقِ المكـانِ تَعَثُّـرُ

يَـتَــبَدَّدُ التَّـــاريخُ فـــي بَيـــدائها

وإذا أرادتْ ، فَهْوَ عَبْـدٌ مُحْضَـــرُ!

❄❄❄

أَيْنَعْتُ مِن رُغْـمِ الثَّـرَى بِمَفـازَتي،

هَتَفَتْ بِـهِ ، فَحَواهُ فَجْرٌ أَخْضَـرُ!

لِتَلُفَّـــهُ مِـــن دِفـئها بِمُطَـــهَّمٍ-

سَعَـفُ الأصائلِ ساعِداهُ- وتَبْـذُرُ

تَسْهُوْ على وَلَهٍ مَشاعِلُ وَجْدِها

الصُّوْفيِّ، أو يَصْحُو الحُضُورُ المُزْهِرُ

عَرَفَ انهمارَ الدَّهْرِ مِن أعطافِها

فَسَقَتْهُ، لا يَصْحُو ولا هُوَ يَسْكَرُ!

❋❋❋

يا أَيُّها الأُنثى التي حَمَلَتْ «زما

نَ الوَصْلِ» طِفْلًا، أينَ مِنْكِ تَنكُّرُ؟

غادَرْتِنِيْ نَهْبَ القصائِدِ والرُّؤَى

مُتَجاذَبٌ، مُتَداوَلٌ، مُتَبَعْثِرُ

أَهْـمِـيْ حَنِـيْنًا فِي ثَراكِ، وأَنْـثَـنِـي،

مِن فَـرْطِ ما بِـيْ، هائـمًا يَـتَـفَكَّرُ

تلكَ التي ظَمِئَـتْكَ قد أَظْمَتْكَ، والـ

أَبَـــدُ انْـتَهَى، والماءُ مَعْنًى مُضْمَرُ!

أ فَهكـذا عِشْـقِيْكِ يَـبْــقَى جَـذْوَةً

فِي الرُّوْحِ، تَخْـبُو تارةً أو تَظْهَرُ؟!

❄❄❄

كَـمْ قُلْـتُ يومًـا، والهـواءُ غَلائـلٌ

بِيْضٌ، وطارَ بِنـا جَنَـاحٌ أَشْقَــرُ:

يـــا نَخْلَـــةَ اللهِ التــي أثداؤهـــا

رُطَـبُ الحَيـاةِ وظِلُّهـا المُتَهَصِّــرُ!

هُزِّيْ بِجِذْعِيْ، إِنَّنِـيْ لَـكِ جـائعٌ،

وتَساقَطِـيْ كَمَجَــرَّةٍ تَـتَكَــوَّرُ!

أُهْدِيْكِ راياتِـيْ، شِراعًا مِنْ دَمِـيْ،

وخُيُوطُها مِن مُهْجَتِـيْ تَــتَحَدَّرُ!

يَهْـنِـيْكِ منها خامَــةٌ مِـن غَــيْمِها

لِيَعِــيْثَ فيهــا ذا البَهــاءُ المُــبْهِرُ!

وخُـذِيْ بِأَعْنَـاقِ الشِّـعاراتِ التـي

قَضَمَتْ بِجِسميْ أُمَّـةً لا تَشْعُـرُ!

هـذي فِلَسْطِـيْنُ كَـأَطْوَلِ كِذْبَـةٍ

تاريخُهـا عَـرَبٌ تَقُـوْلُ وتَـكْفُـرُ!

والمُسْـلِمُوْنَ مَسَـابِحٌ ومَبَاخِـرٌ

أُمَمٌ هنـالِكَ كَمْ تَنَـامُ وتَجْأَرُ!

❄❄❄

بغـدادُ في «فِلْـمِ العُرُوْبَـةِ» أُحْرِقَـتْ

والمُخرجـانِ «تَـأَمْرُكٌ» و«تَـدَوْلُرُ»!

وتَجَــشَّأَ الأَعْـرَابُ .. أمريكـا عـلى

أَكْتَافِـهِمْ بَالَتْ .. وبَـانَ المَخْـبَــرُ!

الرَّاضِعُونَ بثَـدْيِها .. هـل فُوجِئُـوا؟

فـ«حَضارةُ الأَبقـارِ» مِـنْهُمْ أَبْقَــرُ!

هُزِّيْ إليكِ بِجِـذْعِها، يَلِـدِ الضُّـحَى

طِفْلَــيْنِ: طِفْــلًا بِالأَرُوْمَــةِ يَجْــدُرُ

والآخَـرُ الطِّفْـلُ الـذي في خـاطِري

مِــنْ أَلْـفِ عـامٍ فِكْـرَةً لا تَكْـبُرُ!

❄❄❄

يا أنتِ.. يا نحــنُ.. ومـا يَبْقَـى عـلى

كَـفِّ الزَّمـانِ بطَقْسِـنا، يـا بَيْـدَرُ!

أَدري بأَنَّـــكِ في مَـــخاضِكِ، بيـــنما

أَهْلُوكِ حَوْلَكِ، هـازِئٌ، أو مُنْكِـرُ!

أَدري بأَنَّـــكِ حُـــرَّةٌ، وأَسِــــيْرَةٌ،

ولَـكِ الجُمـوعُ بأَسْرِهـا تَسْـتَأْسِرُ!

أَدري بـــإِطْراقِ الجَـــوادِ إذا كَـــبَا

أو بِـاخْتِلاجِ القَلْـبِ إِمَّـا يُكْسَــرُ!



ولقــد عَلِمْــتِ بِــأَنَّ قَلْبَــكِ دَانَـــةٌ،

أَغْـلَى مِـنَ الأَغْـلَى عَـلَيَّ، وأَنْضَـــرُ!

لكـــنَّ عُنْـــوَانَ الأُنوثـــةِ مُشْـــمِسٌ،

أَبَــدًا، وعُنْــوَانَ الــذُّكورةِ مُقْمِــرُ!

عُنْـوَانُ لَحْظَـيْكِ مَقاتِـلُ مُهْجَتِـيْ،

لَوْ كانَ بِـيْ غَـيْرِيْ، وبِـئْسَ تَعَـذُّرُ!

❄❄❄

تِلْـكَ التـي قَـتَلَتْ فُـؤادَكَ أَبْـدَعَتْ

قَـتَّالَهَـــا ، ولِكُـــلِّ آتٍ مَصْـــدَرُ!

فَتَحَــرَّرِيْ مِنِّــيْ، فَمِنْــكِ بِدايَـتِـــيْ،

ولْتَغْفِــرِيْ حُبِّــيْ، فَمِثْلُــكِ يَغْفِــرُ!

لا يَقْـرأُ اللُّغَـةَ الوَلُـوْدَ سِـوَى الـذي

يَحْيَـا الأُمُـــوْمَةَ، كُــلُّ أُمٍّ تَصْــبِرُ!

وأنـــا هُنـــا بِبَياضِـــها مُتَوَسِّـــمُ

وَجْـهَ الشُّرُوْقِ، بِـسِفْرِهِ مُسْتَـبْـصِرُ

لا تَنْـدَمِيْ، لا تَحْلُمِــيْ، واسْتَقْبِلِـــيْ

أَمْسِــيْ، وبابُ الوَعْدِ صُبْحٌ مُثْمِـرُ!



تَـدْرِيْنَ مـا قَـرَأَتْ أَنامِـلُ ساعَـتِــيْ

في وَجْهِكِ الذَّاوِيْ، وبَـرْدٌ يَصْفِـرُ؟

بَـيْـتَـيْنِ لَفَّهُـما الغُمُـوْضُ بِهامَـتِــيْ،

نَعَبَـا، وهــذا الكَــوْنُ لَيْــلٌ مُغْــدِرُ:

إنْ لم يَكُنْ لَكَ مِنْكَ طِـبٌّ في الهَـوَى،

فَطَـبِـيْـبُكَ المَـوْتُ الـذي لا تَحْـذَرُ!

لــولا دِمــاءُ المَــوْتِ في مُهَــجِ الحَيَــا

مــا أَخْصَــبَ المــاءَ المــواتُ المقفــرُ!

❋❋❋

يا غَيْمَـةَ الفَصْـلِ الأَخيرِ، تَـمَهَّلِــيْ

فَشِفاهُنا مِـنْ حَلْمَتَــيْكِ الكَوْثَــرُ!

تَتَفَتَّــتُ الــذِّكْرَى الحَــرُوْنُ بِراحَتِــيْ

فأَشُــمُّ مِنْهـــا أَنْجُـــمًا تَتَحَــرَّرُ!

غَزَلَـــتْ بُـــرَادَةَ ذِكْرَيـــاتيْ غَـــادَةً

ضَوْئِيَّـــةً، تَنْهـــارُ فيهـــا الأَعْصُـــرُ!

تَنْـتَابـُنِــــيْ رَيَّانَــــةً بِجُمُوْحِـهـــا

لِـــتَرُوْحَ مِنِّــــيْ ثَـــوْرَةً أو تُبْكِـــرُ

سـأَظَلُّ أَرْنُـوْ ظامِئًـا لِـجَهَامِها،

لا مُقْشِـعًا عَنِّـيْ، ولا هُـوَ يُمْطِـرُ!

❄❄❄

قَـدَرِيْ أُحِبُّـكِ أَنْـتِ، يـا فَتَّانَتِـيْ،

مَـن ذا عـلى قَـدَرِ المَحَبَّـةِ يَقْـدِرُ!

كَمْ- كالفَراشِ- نَمُوْتُ في أَضْدادِنا!

والحُـبُّ بَعْـدَ عَـدَاوةٍ هُـوَ أَشْعَـرُ!

البحرين، شوّال ١٤٢٣ هـ.

أَقْـرَأُ نَقْشًا على

بابِ أُخرى المُدُن!

أقْرَأُ نَقْشًا على بابِ أُخرى المُدُنِ!

يَسْتَبِدُّ العِشْقُ

يا ساكنِي

يا وَطَني

بالثَّرى غَضًّا

على فائضٍ مِن

كَفَني!

... ...

لا تَـرُدُّوا التُّرْبَ

في

خافقي

بعضُ دَمِيْ

لم تَزَلْ جَذْوَتُهُ

تَتَهَجَّى بَدَني!

لا تَـرُدُّوا التُّرْبَ

لِـيْ

في الأَعالي

قَمَرٌ

أَتَقَرَّاهُ

على

بابِ أُخرَى المُدُنِ!

لا تَرُدُّوا التُّرْبَ

ما طَفِئَتْ

نَفسي

ولا رَوِيَتْ

بَعْـدُ

على ظامِئِ الوَعْدِ

جَـنِـي!

❄ ❄ ❄

ما الذي أَعْجَلَهُمْ

كَفَّنُوني؟

ما الذي

غَيْرهُمْ قد كَفَّنُوا؟

كُلُّهُمْ في كَفَني!

لِيَكُنْ
أَنَّهُمُ قد مَضَوا بِـيْ
أَمَـمِـي
سَوْفَ تَصْحُو نَخْلَـةٌ
فِـيَّ
تُحْيِيْ زَمَنِي
بِبِكاراتِ اللُّغَى
بِبَقايا عَلَمِي
مِن عِظامِيْ هذهِ
سَوْفَ أَبْني
سُفُني

لِيَكُنْ

أَنَّ بَنِيْ أُمـِّـنا

ما حَفِظُوا

سُنَّـةَ اللهِ

ولم يَعْلَمُوا

ما سُنَنِي

فغَدًا

حِيْنَ تَدُوْرُ طُيُورًا

نَسَمِي

وغَدًا

حِيْنَ تُـرَى بَهْجَتي

فِي فَـنَنِي

سَيَـتُوبُونَ إذا

شُبْهَةُ المَوْتِ

عَنَتْ،

إِخْوَتِي

عن وَأْدِهِمْ

وَطَنِي

فِي وَطَنِي!

الرياض، ١٦/ ١١/ ١٤١٦هـ.

صباح الوَطَن!

صباح الوَطَن!

صــباح القَــوافيْ .. صــباح الــوَطَنْ

صـباح الخُيُـوْلِ / السُّـيُوْلِ / الهَـتَنْ

صـــباحات بِيْـــدٍ عَـــرِقْنَ طَـــوِيْلًا

لِـيَـنْـــبُتَ بَعْــدَ المِطَــالِ الــزَّمَنْ

وجُعْـنَ.. حَفِـيْنَ.. عَـرِيْنَ.. انتظـارًا

لِـتُـــوْرِقَ مِـــن جِلْــدِهِنَّ المُــدُنْ

❄❄❄

تَــمُــرُّ اللَّيَـالِــيْ بِغَــيْرِ الْـتِيَــالٍ

عَلَيْـهِــــنَّ مَــرَّ الجَهَــامِ الحَـــزنْ

زَمانًـــا يَــدُوْرُ .. زَمانًــا .. وجِــيْلًا

بجِـيْلٍ .. رحيْلًا .. رَحًى مِن فِـتَنْ

تَــمُوْتُ الحَيَاةُ وتَحْيَـا.. وهـذي الــ

ــفَلاةُ فَـــنَاءُ الحَيَــاةِ اليَـفَـــنْ

إذا الــرِّيْحُ هَبَّــتْ شَـمالًا تَـمَــطَّتْ

ريـــاحُ الشَّـــمَالِ بِـــرِيْحِ الإِحَـــنْ

وإنْ هَبَّتِ الرِّيْحُ ذاتَ الجَنُوبِ

تَنَهَّدَتِ الرِّيْحُ بَرْدَ الشَّجَنْ

وإمَّا الصَّبا عانَقَتْها الدَّبُوْرُ

تَدافَعَ كَأْسُ الثَّرَى وارْجَحَنْ

زَمانًا .. زَمانًا .. وتابَ الزَّمانُ

وثابَ وَلِيْدًا غَضِيْضَ الغَضَنْ

❄❄❄

وُلِدْنا كما يُوْلَدُ النَّاسُ لَمَّا

أَرَدْنا الحَياةَ حَياةً .. ومَنْ

يُرِدْهـــا حَيـــاةً، تُـــرِدْهُ، كـــما

يُعاتِـــبُ يُـــبْسَ السَّـــماءِ الفَـــنَنْ

❄❄❄

أَتَـــى ذاتَ صَـــحْوٍ جَـــوَادٌ أَتانـــا

بِوَعْـــدٍ كَوَعْـــدِ الْمُـــزُوْنِ انْهَـــتَنْ

فَـــدارتْ خُيُـــولُ القَبِـــيْلَةِ نَهْـــدًا

مِنَ الضَّوْءِ عَبْلَ الخُطَـى والرَّسَـنْ

يَمُـــدُّ جَنَاحَيْـــهِ شَرْقًـــا وغَرْبًـــا..

إلى الشَّـــامِ طَـــوْرًا وطَـــوْرًا يَمَـــنْ

يُسافِــرُ فــي ذاتِــهِ يَـسْـتَـبِــيْها

ومِنْــهُ إِلَيْــهِ يُسَــاقُ الثَّـمَــنْ

تَعَرَّفَ فــي رِحْلَـةِ الـمُـسْـتَحِـيْلِ

بِــأَنَّ المَطايــا ثَــرَى مَــنْ ظَعَــنْ

وأَنَّ الســماءَ لِـمَـــنْ يَحْـتَـبِــيْها

وأَنَّ شَــظايا الـــدِّيَارِ السَّــكَنْ

وأَنَّ التَّشَــــرْذُمَ وَلَّـــى وأَزْرَى

بِعِـبْءِ السِّنِــيْنِ جَـحِـيْمُ الكَفَــنْ

تَــــرَبَّعَ فارسُـــها ناظِـرَيْهـــا

فَغَــاضَ ظَماهــا وفَــاضَ العَطَــنْ

تَــــرَبَّعَ فارسُـــها صَهْـوَتَـيْـهـــا

فصَـــارَ الحِصــانَ ومــاءَ الــوَطَنْ

كــذاكَ الــمَوَاطِنُ تُـبْــنَى غِمَـــارًا

بِرُغْمِ الـمَنايـا وطَمْـيِ الـمِــحَنْ

❋❋❋

عــلى ساعِـدَيْهـــا نَلُــفُّ صِـــبانا

لِتَبْـقَى الصَّـفَاءَ تَــحَدَّى الأَسَــنْ

نُحَــوِّرُ فَجْــرًا سَــنَا مُـقْـلَـتَـيْهــا

بِــماءِ القُلُـوبِ / البَــيَاضِ / اللَّـبَنْ

لِتَحْـيَا انْتِفاضًا.. فَـتًى.. ليس يَرْضَى

مَوَاطِــئَ غَــيْرَ الــذُّرَى أو سَــنَنْ

وإِلَّا .. فيــا ضَيْعَــةَ الــزَّرْعِ .. إمَّــا

يُسَـــنْبِلُ نـــارًا وجُوْعًـــا وأَنْ

❋❋❋

صــباح القَــوافي .. صَــهِيْلَ الــوَطَنْ

صباحات خَيْلٍ .. وسَيْفٍ .. وفَـنْ

صــباحات بِيْــدٍ عَــرِقْنَ طَــوِيْلًا

لِـيَـنْــبُـتَ بَعْـدَ الــمِطَالِ الزَّمَــنْ

...لِـيَـنْبُـتَ بَعْـدَ المِطَــالِ الزَّمَـنْ!

الرياض، ١٩٩٥.

جُبَرْ... و ١٠٠ عامٍ من المَطَرْ !

قصيدة المئويّة، أُلقيتْ بمناسبة مرور مئة عامٍ على تأسيس المملكة العربية السعودية، في ١٣/ ١٠/ ١٤١٩هـ ، في احتفال منطقة جازان بالمناسبة.

جُبَرْ... و ١٠٠ عامٍ من المَطَرْ !

فِي داعِجــاتِ اللَّيــالِيْ اسْــتَرْوَحَ العُمُــرُ

وَجْــهَ المَعــانِيْ فَغَــامَ السَّــمْعُ والبَصَــرُ

يَرُبُّنِــيْ فــي ابْتِــداءاتِ الــرُّؤَى وَجَــلٌ

ويَزْدَهِيْـنِــــيَ فــــي أُمِّ الــــدُّجَى سَــمَرُ

يُعِيْــدُنِيْ فــــي دَمِ الأَيــــَّامِ آوِنَــــةً

ويَنْـتَضِيْـنِــــيْ أَوانًــــا حِــيْنَ يَنْهَـمِــرُ

يَشُـــدُّ فِـــيَّ جَبِـيْنَ الوَقْــتِ، مِــنْ يَــدِهِ

أَعُـــبُّ مـاءَ القَوافـــي مــا بِـهِ كَـدَرُ

أَسْرَتْ خُطَـاهُ بِطَرْفِـيْ والـدُّنَى لُــجَجٌ

حَتَّـى تَـبَلَّجَ دَرْبِـــيْ والخُطَـى شَـــرَرُ

مــا كــانَ مِنْـــهُ ومِنِّـــيْ غَـــيْرُ رَاحِلَـــةٍ

مِـــنَ الخَيَـــالِ تَـــخُبُّ ثُـــمَّ تَنْكَـــدِرُ

❄❄❄

مَنْ أَنْـتَ؟- قُلْتُ- وفِي صَوْتِيْ انْحَنَتْ شَـعَفٌ

مِـنَ الجِبَـالِ تَــحُثُّ الشَّـوْقَ: مـا الخَبَـــرُ؟!

مـاذا هُـنَاكَ! لمـاذا الشَّمْـسُ فـي خَفَرٍ

«تُغَفْغِـفُ»[١] اليــومَ كالعَــذراءِ تَــنْــكَسِرُ

وكانـــتِ الأَمْــسَ نِــــيْرانًا وغاشِيَــــةً

كَــمْ أَمْطَرَتْــكَ رُعــافَ الجَمْــرِ يَــنْــشَجِرُ

(١) غَفْغَفَ، يغَفْغِف بلهجة أهالي فَيفاء بمعنى: أنه يُغمِض جفنَي عينَيه ويفتحهما بسرعة، كما يقال في لهجات أخرى: «يرمش». وللكلمة ما يُشْبِه أنْ يكون أصلًا فصيحًا؛ جاء في معجم (الصغاني، **العُباب الزاخر واللُّباب الفاخر**، (غفف)): «قال شَمرٌ: الغُفَّةُ، كالخُــلْسَةِ...: وهي ما يتناوله البعير بِفِيْهِ على عَجَلَةٍ منه.» والغُفَّة: اليسيرُ مِن كُلِّ شيء. فغَفْغَفَ تعبيرٌ عن تلك الحركة السريعة لجفن العَين. ولعلّ التعبير بـ«أغفَى يغفي»، عن النوم الخفيف- وكأن الجفن لا يكاد ينطبق حتى يُغَفْغِف فيستيقظ- ما جاء إلّا من هذا الأصل، الذي حافظت عليه اللهجة وضيّعته المعجمات اللغويّة؛ فالمعجمات لم تحفظ كلّ اللغة.

وِلَــمْ أَرَى عَجَبًا فيكَ الضُّحَى وَلَـهُ

مَبَاسِـــمٌ تَهَـــبُ التُّـــفَّاحَ .. تَـعْـتَـــصِرُ

إِنِّي عَرَفْـــتُكَ لا تَلْـــوِيْ عـــلى فَـــرَحٍ

إِلَّا يُـنَـغِّـصُـــــهُ فِي وَجْهِـــكَ الكَـــدَرُ

إِنِّي عَرَفْـــتُكَ جَـــوَّابَ الفَضَـــاءِ عـــلى

ساقَـــيْنِ مِـــنْ تَعَـــبٍ أَزْرَى بهـــا السَّفَـــرُ

إِنِّي عَرَفْـــتُكَ قَبْـــلَ اليَـــوْمِ تَعْرِفُـنِـــي

فَـتَـنْـثَـنِـــي خَجَـــلًا أَنْ مَسَّـــكَ الضَّـــرَرُ

وتَبْـتَـغِـيْ جَاهِـدًا في السُّـوْقِ مُـدَّخَلًا

أَنْ لا تَـراكَ عُـيُونُ السُّـوقِ، يـا جُبَـرُ

ما هذه النِّـقْـلَـةُ النَّـوْعِـيَّـةُ الْتَحَفَـتْ

في شَمْلَـتَـيْكَ، فَفِيْـكَ البَـدْوُ والحَضَـرُ؟!

❄❄❄

يـا أَيُّهـا الشَّـبَحُ الـذِّكْرَى، أَمَـا خَبَـرُ

عَـمَّا بَـراكَ جَدِيْـدًا حِـيْنَ تُدَّكَـرُ؟

قُلْ.. غَنِّ.. إِنِّي وَهَبْتُ السَّمْعَ ضَوْءَ دَمِيْ،

مَـنْ ذا يَلُـمُّ سَرابَ القَـفْرِ أَوْ يَـذَرُ؟!

قُلْ: أَيْـنَ ثَـوْبٌ عـلى المَـتْـنَـيْنِ مُهْـتَرِئٌ

تَخِـيْـطُـهُ مِـنْ لَـيَالِـيْ قَـهْرِكَ الإِبَـرُ؟

قُلْ: أَيْنَ ظِلْعَانِ، كانا شُهْـرَتَـيْكَ، ومـا

بَـيْـنَـهُـمَا جُـرُفٌ، إِنْ تُـبْـتَـغَ الشُّـهَرُ؟

❋❋❋

مـاذا فَعَلْـتَ بِباقِـيْ الحَـبِّ يَـوْمَ غَـزَا

دَبَـا الجَـرَادِ ومـا فـي الجُـرْنِ مُدَّخَـرُ

كيـف اسْـتَطَعْتَ حَيَـاةً والمَـدَى كَــفَنٌ

كيـف اسْـتَعَادَتْ بَــيَاضَ الـدِّرَّةِ الـدِّرَرُ[1]

هــل مــا تَــزَالُ بِحَبَّــاتِ الفَنَــا أُمَــمٌ

هُنــا تَــــمُوتُ لِتَشْــقَى بَعْــدَهَا أُخَــرُ[2]

---

(١) مِن سنين القحط المذكورة في فَيْفاء سَنة يسمّونها (سنة كِشْمَة)، حَكَوا أن الناس بسبب الجدب فيها لم يجدوا ما يُطعمونه البقرَ إلّا الفحمَ؛ ولذلك زَعَمُوا أن اللَّبَن غدا في تلك السَّنَة أسود، وكذلك السَّمْن.

(٢) حَبَّة الفَنا/ الفَناء: مرض، يَحْكُون أنها كانت تظهر له في الجسم نَفْطَة على شكل حَبَّة، ولا علاج له، بل عاقبته الموت الوشيك.

مَنْ غَـيَّــرَ الحَـالَ حَـالًا طَلْعُهـا أَلَـــقٌ

عِنْــدَ اللِّقَــاءِ فَــتُطْرَى الحَــالُ والغِـيَــرُ

❄❄❄

قال: اتَّـئِدْ! فَلِــسَانِيْ طائِــرٌ حَصِــرَتْ

دُوْنَ الــذُّرَى جَانِحَــاهُ والــذُّرَى سِيَـــرُ

مــاذا أَقُــولُ وَإِذْ مِثْــلُ اسْــمِهِ جَبَــلِيْ

فَيْفَــاءَ لا مَطَــرٌ تُـــرْجَى ولا ثَـمَـــرُ

وإِذْ أَفــاوِيْقُ مَـــا يَجْنِيْـــهِ قاطِنُـــهُ

فِـيْهِ الــمَجَاعَاتُ والأَمْــراضُ والخَطَــرُ

وَالمَــوْتُ يَمْــلَأُ شِدْقَيْــهِ وَقَبْضَتَــهُ

يَمْشِــيْ الهُــوَيْنَى وَبالأَشْــلاءِ يَأْتَــزِرُ

يُعَابِــثُ المَــرْأَةَ الحُــبْلَى يَقُــوْلُ لَهَــا:

المَــوْتُ طِفْــلِيْ وَمَهْــدُ الطِّفْــلِ مُحْتَفَــرُ

وَيَلْكُــزُ الكَهْــلَ فِــي أَوْدَاجِــهِ جَنَــفًا:

كَمْ ذا يُعَاشُ! وَكَمْ ذا يُشْتَكَى الكِبَــرُ!

لَيْتَ الأُلَــى أَكَلَ المَــوْتُ الــزُّؤَامُ قَضَــوا

يَــوْمَيْ حَيَــاةٍ، تُــرَوَّى الأَعْظُــمُ النُّخُــرُ

كَيْـمَا يَرَوا غَرْسَهُمْ، أَحْفَادَ ما سَـغِبُوا،

مـاتُوا انْتِظَـارًا عَسَـى أَنْ يُـوْرِقَ الشَّـجَرُ

❄❄❄

يـا صَـاحِ، إِنَّ اللَّيـالِيْ أَعْقَـبَتْ قَمَـرًا

يَضُـمُّ كُـلَّ جِبَـالِيْ ذلـكَ القَمَـرُ

يَلُـمُّ فيهـا شَتِـيْتَ المَهْـدِ يُرْضِـعُها

حَلِـيْبَـهُ فَيَـرِفُّ الغُصْـنُ والحَجَـرُ

إِنْ جِـئْتَ تَسْأَلُ عَنْ حَالِـيْ، وكَيْفَ غَدَا؟

فَلْـتُـسْأَلِ الأرضُ والأَنسـامُ والزَّهَـرُ!

يَوْمَ الْـتَـقَى سَحَـرُ التَّارِيْخِ مِـلْءَ يَـدِيْ

صَفْوَ السُّـيُوفِ، ألا يـا نِعْـمَ ذا السَّحَــرُ

يَوْمَ اسْـتَفَاقَ بِـأَعْرافِ الْخُيُـولِ ضُـحًى

نَخْـلُ السِّنِـيْنِ الـذي قـد كـادَ يَنْدَثِــرُ

حَتَّى تَبـَجَّسَ قَلْبُ الصَّخْرِ مُنْتَـفِـضًا

طَــيْرًا مِــنَ المــاءِ يُرْوِيْنَــا ويَعْتَــذِرُ

وسابَــقَتْ مَوْجَــةٌ تَحْتَــثُّ جارَتَهــا

تَسامَــــقَتْ صُــوُرًا تَشْــتَقُّها صُــوَرُ

❄❄❄

ذُؤَابَـةُ المَجْـدِ واختـالَ النُّـواسُ بِهـا

نَشْـوَى الفَخَـارِ وأَنْـفُ الـذُّلِّ مُنْعَفِـرُ

تَـهُزُّ فـي مُهْجَـةِ الصَّـحْراءِ عَوْسَـجَةَ [م]

الزَّمَـانِ، مـا غُـرَرٌ جاشَـتْ بِهـا غُـرَرُ

وَتَفْغَـمُ الجَـوَّ فـي كُـلِّ القُـرَى عَبَقًـا

أَرْدَانُـهُ العِـزُّ والتَّمْكِـيْنُ والظَّـفَـرُ

كَـأَنَّما قـد وَعَـتْ كُـلُّ الجَزِيْـرَةِ أَنْ

قَـدْ احْتَـوَتْ قَـدَرًا أَحْشَـاؤُها الصُّبُـرُ

كَـأَنَّمَا هِـيَ زَرْقَـاءُ اجْتَلَـتْ غَـدَهَا،

وذِمَّـــةُ المُسْـــتَحِيْلِ البَـــيْرَقُ الخَضـــرُ

❋❋❋

مَنْ وَحَّـدَ الأَرْضَ أَرْضَ اللهِ في جَسَـدٍ

المَسْـــجِدانِ بِـــهِ العَـيْنَـــانِ والحَـــوَرُ؟

ومَـنْ أَحـاطَ رِقَـابَ الجِيْـلِ مَأْثُـــرَةً

مِـنْ بَعْـدِهِ الجِيْـلُ يَـتْـلُوْها ويَأْتَـثِـرُ؟

مَـنْ قَبْلَنـا لَـمَّ هـذا الشَّـعْثَ في رِئَـةٍ

أَنْفاسُـــها الشِّـــيْحُ والكَـــاذِيُّ والمَطَـــرُ؟

وَمَــنْ تُــرَاهُ ابْتَنَــى لِلْعُــرْبِ مَمْلَكَــةً

فِي شَكْلِ قَلْبٍ بِنَــبْضِ القَلْــبِ يَعْــتَــمِرُ؟

هَبَّتْ صَـبًا حَمَلَـتْ وَطْفَـاءَ مـا هَـدَأَتْ

حَتَّــى تَغَشَّــتْ بِــلادي وَهْــيَ تَنْهَمِــرُ

فَغَيَّـــرَ اللهُ حَالــِيْ نَضْـــرَةً ورِضًى

وسَنْـــبَلَ الحَقْــلَ صَخْـــرٌ يــانِعٌ نَضِـــرُ

❄❄❄

يا صَفْحَـةً مِنْ دَمِ التَّاريـخِ قَـدْ طُـوِيَتْ

لا رَيْـبَ، هـذا كِتَــابٌ كُـلُّــهُ عِــبَـرُ!

ما مـاتَ مَـيْتُ الوَرَى فِـيْنَا وثَـمَّ لَـهُ

هـذا الـتُّـراثُ وهـذا الـفَـرْعُ والـثَّـمَـرُ!

تَـبْـقَـى النَّخِـيْلُ شُـمُـوْخًا، كُلَّما سَقَطَـتْ

أَعْذَاقُـهـا أَيْـنَـعَـتْ مِنْ أَصْلِها أُخَـرُ!

❄❄❄

إِنِّي اسْــــتَفَقْتُ وفي كَفَّـــيَّ مَدْرَسَـــةٌ

مَـبْـنِـيَّـــةٌ بِعُـيُـــونِ النُّـــوْرِ تَـنْـتَـظِـــرُ

إِنِّي اسْتَفَقْتُ، كَسَرْتُ الكَأْسَ.. فِـيَّ صَحا

خَصْـمَانِ فِــيْ رَحِـمٍ.. واللَّيْـلُ مُعْتَـكِـرُ

إِنِّي رَأَيــْتُ سَبِيْلــِيْ لاحِبًــا أَمَــمًا

مُعَبَّــدَ الخَطْــوِ لا تَــنْبُــوْ بِــهِ العِــثَــرُ

وقــدْ تَسَــدَّتْ جِبالــِيْ الشُّــمَّ فارِعَــةٌ

مِــنْ دَوْحَــةِ النُّــوْرِ أَفْنَانــِيْ بِهَــا زُهُــرُ

والــدَّرْبُ أَعْمَــى تَــجَلَّى ناظِــراهُ كــما

جَلَّــتْ مَــحَاجِــرَها بالأَنــْجُمِ الدُّجُــرُ

❄❄❄

فَـشَـعَّ عَــهْـدٌ وَلِـيْــدٌ عـاصِـفٌ عَـرِمٌ

أَرْســاهُ مَــنْ سَــافَــرَتْ فــي كَـفِّـهِ الـعُـصُـرُ

عَهْــدٌ جَدِيْــدٌ مُــرِبٌّ كُلُّــهُ لُـغَــةٌ

مِــنَ التَّفَــوُّقِ والإِقْــدَامِ تَنْصَــهِرُ

يَرْنُــوْ إِلى أَسْــطُرٍ أُخْــرَى تُزَوْبِعُهــا

حُرِّيَّــةٌ سَــنَّها الإِســلامُ والنَّظَــرُ

تَـرْمِيْ فِجَاجَ الرُّؤَى عَـنْ كُـلِّ قافِـيَـةٍ

فَـيَسْتَــهِلُّ قَصِيْــدٌ ثــائِرٌ خَطِــرُ

....

فَقُلْتُ، إِذْ قَالَ، وارْتَـفَّتْ على شَفَـتِـيْ

فَراشَـةُ الشِّـعْرِ واسْتَـشْـرَى بِهـا الوَتَـرُ:

إِنَّ المَسَــــافَةَ عَجْــزٌ حِــيْنَ تَـــذْرَعُها

وهِـمَّــــةُ الحُلْــمِ تُدْنِـيْـــهَا وتَخْـــتَصِرُ!

جازان، ١٣/ ١٠/ ١٤١٩ هـ.

طائفيَّة/ فَيْفِيَّة !

طائفيَّة/ فَيْفِيَّة !

إلى قَرِيْنَـتَين، عِشْتُهما وعاشتاني: (فَيْفاء، والطائف)

طـافَ طَيْـفٌ طـائِفِيٌّ وتَـثَـنَّى
مُشْرَئِـبَ الوَعْـدِ عَنَّـى وتَعَنَّـى
عِنَبِـيَّ الثَّـغْرِ لَـمَّا زارَنِـي
أَيْقَظَ الصَّحْراءَ في الصَّبِّ فَغَـنَّى

نَشَــــرَ الــرِّيْشَ سَــلامًا فابْتَــدا

أَلْفَبــاءَ العِشْــقِ سَــطْرًا فَكَتَــبْنا

خَوْطَ بَانٍ سَاجِيَ الطَّـرْفِ عـلى

غُصْنِهِ حَطَّتْ طُيُوْرُ الخَوْخِ مَثْـنَى

ثَقَفِــيَّ القَــدِّ عَرْجِــيَّ اللُّغَــى

يَتَغَــنَّى كَــمْ فَــتًى فِيْنــا أَضَــعْنا

وأَمَــاطَ الخَــزَّ عــن حُــرِّ النَّــقَا

فَتَـداعَى الوَجْـدُ هَــتْنًا جـادَ هَتْنـا

❊❊❊

مَــن أنــا؟ قالــتْ، وآرامُ نَــزَتْ

شَــهْوَةً واهْتَــزَّ (وَجٌّ) وارْجَحَنَّــا

ورَنَــا الأُفْــقُ عُيونًــا وطُــلًى

تَزْحَمُ الوَهْدَ وتَغْشَى كُـلَّ مَغْـنَى

أنــا غَــزْوَانُ أَبِــيْ.. يــا لَأَبِــيْ

بَــاذِخَ الهامَــةِ تَــيَّاهًا مِفَــنَّا!

❄❄❄

قـالَ، يـا بِنْتِــيْ، تَـسَامَــيْ حُـرَّةً

فجَـمالُ الغــادةِ المُخْتَــالُ أَجْنَــى

مِن شَرِيْطِ الأَمْسِ ذِكرَى انْتَظَمَتْ

مِــثْلَما تَنْــتَظِمُ القُضْــبَانُ سِــجْنا

إذْ ذِئـابُ اللَّيْـلِ تَـجْتاسُ دَمِـيْ

والضُّحَى يَضْحَكُ فـي الصَّبَّارِ ضِغْنا

وحِرابُ الـمَوْتِ تَنْمُوْ فـي يَـدِيْ

كَعَنَاقِيْـدِيْ وكـانَ الرُّعْـبُ دَنَّـا

أَقْبَلَـتْ مِـنْ سـاعةِ الأَقـدارِ لِـيْ

ساعةٌ صاغَتْ حُرُوْفَ العُشْبِ أَمْنَا

إِنَّهــا ســاعةُ عِشْقِــيْ أَشْرَقَــتْ

واسْتَـهَلَّتْ مِنْ يَـدِ التَّـاريخِ يُمْنَـى

❄❄❄

أَيُّهــا البِيْــدُ استَظِلِّــيْ رِئَـتِــيْ

وتَــرَوَّيْ مِــنْ نَــدَى خَــدَيَّ مَنَّــا

كانَ وَجْـهُ اللَّيْـلِ إِذْ قالـتْ مَـدًى

يَرْسُــمُ الضَّــوْءَ فَــنَاراتٍ وسُــفْنا

كـــانَ مـــا قالتْـــهُ رُمَّانًـــا كَسَـــا

شَــفَةَ الفَجْــرِ تَباشِيْــرَ ويُمْنَــا

وهْــيَ إذْ قالــتْ غَــزالًا نــافِرًا

جَـبَـلِـيَّ الشَّوْقِ وَضَّـاحًا مُـحَــنَّى

❄❄❄

قُلْتُ: يـا هـذيْ، هَنِـيْــئًا لِلْفَتَـى!

ولِــيَ اللــهُ .. تَــبَارِيْحَ وظَعْنَـا!

أُخْــتُ (فَــيْفاءَ) بِقَلْبِــيْ قَـلْــبُها

مَنْ رأَى قَلْـبَـيْنِ في قَلْبٍ مُعَـنَّى؟!

هــذِهِ (فَيْفــاءُ) فِيْـــنا أَشْــأَمَتْ

أَيُّ رَوْضٍ مِنْ رِياضِ اللهِ أَسْـنَى؟!

أَمْ هِيَ (الطَّائفُ)؟.. صَدْرٌ حَالِـمٌ

وقَـــماريٌّ تَـفِـــزُّ الآنَ وَسْـــنَى؟

هذه «الطَّيْـفَاءُ» ، بَـيْتٌ مـُحْـكَمٌ

فِـيْـهِ باتَتْ أَحْرُفِـيْ الخَضْـرَاءُ مَعْنَى!

❄❄❄

وتَوادَعْنـــا عَشِـيْقَـــيْنِ، ولـــم

تَلْتَـقِ الأَنْــفَاسُ مِنَّـا، واعْـتَـنَـقْــنا

وتَلاقَـيْـــنا عَشِـيْقَـــيْنِ، ولـــم

تَرْتَـوِ الأَنْــفَاسُ مِــنَّا، وافْـتَـرَقْــنا

هــل تَـغَـــيَّرْنا؟ هَــلِ الحُــبُّ المَكــا

نُ ، الذي كانَ بَعَـيْـنَـيْـنا ، اسْتَـكَنَّا؟

مَــنْ يُعِيْــدُ المَعْهَــدَ، المَعْهُــودَ فـــي

ذِمَّــةِ الــذِّكْرَى، كــما كــانَ وكُـــنَّا؟

مَنْ يُعِيْدُ الشارعَ .. الــدُّكانَ .. لِيْ

مِثْلَما كانــا .. إذا مــا الطِّفْـلُ حَنَّـا؟

❄❄❄

تَهْجُـــرُ الأَكـــوانُ طُـــرًّا كَوْنَهَـــا

وتَظَـــلُّ الـــرُّوحُ دِيْوانًـــا وخِـــدْنا

وتَــــمُوْتُ (المُـوْنَلِـــيْزَا) بَسْــمَةً

إذْ يَعِــيْشُ المُبْــدِعُ الرَّسَّــامُ فَـــنَّا

فإذنْ .. كيفَ (المَعَرِّيْ) يَشْتَـكِـيْ،

ذاتَ شَكْوَى : «أَمْحَلَ الرُّوْحُ وشَنَّا»؟

❄ ❄ ❄

إِنَّـهُ العِشْـقُ ، جَنِـيْنُ النَّـارِ : وَيْ!

مَنْ سَقَـتْـهُ حَلْمَةُ الجَمْراتِ ، أَنـَّـا!

وهُــوَ العِشْــقُ، مَصابِـيْـــحُ تُــرَى

فـي دَمِ العُشَّاقِ .. أَيـَّـانَ، وأَنـَّــى!

إنَّـــما عِشْـــقِيْكِ وَصْـــلٌ دائِـــمٌ

وفُـؤادُ العِشْـقِ وَهْـنٌ ضَـمَّ وَهْنَـا

الرياض، ١ صفر ١٤١٩هـ.

فَيْفاء

فَيْفاء

فَيْفــاءُ، يــا فَلَــكَ الخَيَــالِ الأَبْعَــدَا

وهَــوًى يُسَافِــرُ فــي جَـناحَــيْهِ المَـدَى!

«مـا أَطْيَـبَ الحَجَـرَ الفَـتَى!» مُتَلَأْلِـئًا

بــالحُلْمِ صَـــحْوًا والخُرافَــةِ مَشْـــهَدَا!

مــا ضَمَّنِـــيْ بَلَــدٌ ولا ضَــامَ النَّــوَى

إلَّا وَجَــدْتُ شَـــذاكِ فِـــيَّ مـــُجَدَّدَا

❄❄❄

قــالُوا: «هِــيَ الأَوْطَــانُ مهــما تَجْفُنــا»،

وأقــولُ، يــا وَطَنِــيْ: «فَــديتُكَ، سَــيِّدَا!»

لا جَفْــوَةٌ يُــخْشَى تَغَوُّلُهــا، ولا

يومًــا حَفَلْــتَ بِمَــنْ جَفَــا أو هَــدَّدَا

طَــوْدٌ بِــهِ (الأَعْــلَى) يُثَبِّــتُ أَرْضَــهُ

مِــن أَنْ تَــمِيْدَ، وجَــلَّ ذاكَ مُوَطِّــدَا!

شَــمَّاخَةٌ فيــهِ الحُصُــوْنُ، كأَهْــلِهِ،

مَــن رامَــهُ؟، رامَ السَّــماحَةَ والنَّــدَى

أخلاقُـهُ الجَبَـلُ المُنِيْـفُ، وهـل دَنَـا

جَبَـلٌ يُعاتِـبُ مِـنْ ذُرَاهُ الفَدْفَـدَا؟!

❄❄❄

شَمَمُ الجِبَالِ مِـنَ الرِّجَـالِ، ولا يُـرَى

شَـمَمٌ يُـجَاوِرُ فـي الرِّجَـالِ تَـرَدُّدَا!

ولَأَنْـتَ أَنْـتَ، وراحَتَـاكَ مَواسِـمٌ

لِلْحُـبِّ تَـذْرُوْهُ الحِيَـاضُ زَبَـرْجَدَا

ومَواسِـمُ الهِمَـمِ الشَّـوَاهِقِ طَلْعُهـا

قِمَـمٌ تُـرَاوِدُ فـي ثَراهـا الفَرْقَـدَا!

فـــي كُــلِّ «رَيْــدٍ» بــارِقٌ مُتَهَلِّــلٌ

نــاجَى عــلى كَتِــفِ التَّـنَائِــفِ مُرْعِـدَا!

وكــذا الحَرائِــرُ: فِـتْـنَــةً، وحَصَــانَةً،

وفَطانَـــــةً، وصِيانَـــــــةً، وتَصَيُّـــــدَا!

❄❄❄

فَيْفــاءُ، يــا كــأسَ النَّــدامَى، إنْ هُــمُ

ظَمِـــئُوا لِدَنِّـــكِ أَكْؤُسًـــا أو أَكْبُـــدَا!

مُـــدِّيْ جَنَاحَــكِ، حَلِّقِــيْ رَيَّانَـــةً

بِطُمُوْحِـكِ الوَثَّــابِ، حُجِّــيْ الأَمــْجَدَا!

فعُقَابُــكِ (الشَّــاهِيْنُ) يَصــطادُ السُّــهَا

وعُقَابُــكِ (الإنســانُ) يَصــطادُ العِــدَى!

(عَبْسِــيَّةٌ) عَبَسَــتْ عــلى قَيْــدِ الثَّــرَى،

فَـــتَحَرَّرَتْ، وأَتَـــى الزَّمــانُ مُقَـــيَّدَا![1]

سَـــيَّافُها «كَـــاذٍ» تَـــبَسَّمُ بَرْقُـــهُ

ورَصاصُـــها عِنَـــبُ الفُتُـــونِ تَعَنْقَـــدَا[2]

---

(١) العَبْسِيَّـة: أعلى قِمّة في جبال فَيْفاء.

(٢) الكاذيّ: شجرٌ يُشْبِه النَّخْلَ، له طَلْعٌ ذاكي الشَّذَا. لا نجده إلّا معرَّفًا بأل في كُتُب اللغة، ولا يوردون له مُفْرَدًا. وينسبونه إلى (عُمان). وهو من الأشجار المشهورة في فَيفاء، واحدة شجره: كاذِيَة، ويجمعونها، جمعَ قِلَّة، على: كاذيات، وجمعَ كثرة، على: كاذٍ. أمّا طَلْعُه، فـ: ←

«هُزَّابُهـــا» هَـــزَمَ العَـــزائِمَ مُصْـــبِحًا
وجَنَــى القُلُــوبَ «بُعَـيْــثِرَانُ» مُسْــئِدَا![1]

مِنْ «حَقْوِها» لِشِعَافِها رَشَـفَ الضِّـيَاءُ
ظِلالَهَـــا راحًـــا.. وراحَ أو اغْتَـــدَى

كاذٍ. وهم غالبًا يُسقطون الياء في التعريف، فيقولون: «امْكاذْ/ الكاذْ». أمّا الكادي: (بالدال المهملة)، فتحريفٌ لهجيٌّ حجازيٌّ في نُطق الذال دالًا؛ لأن اسمه في الكتب القديمة (بالمنقوطة). (يُنظر: الدِّينوري، أبو حنيفة، (١٩٧٤)، **كتاب النبات**، تح. برنهارد لفين (ألمانيا: فرانز شتاينر بفيسبادن)، ٢١٦). وكأن أصل تسمية الكاذي: «الذّاكي». ومِن أسماء النساء القديمة في فَيْفاء: (كاذية).

(١) الهـُـزَّاب، والبُعَيْثران: من النباتات العطريَّة. والمُسْئِد: الساري ليلًا.

لــــم يُلْــقَ فيهــا جَحْفَــلٌ مِــنْ أَنْجُــمٍ

إلّا بِـــهِ لُقِيْـــتَ جَحَافِـــلُ مِـــنْ رَدَى!

جُنْـــدُ الجَـــمالِ ، كَتائبًـــا بكَتائـــبٍ،

واللهُ كَـــمْ وَهَـــبَ الجَـــمَالَ وجَنَّـــدَا!

❄❄❄

يــا غَــادَةً حَلُمَــتْ فَغَــادَرَ حُلْمُهــا

«نَــيْدًا» تَــدَانَى أو «حَبِيْــلًا» مُصْــعِدَا[1]

---

(١) النَّيْد: مكان فسيح، مُشرف على جهات من الجبل، يكون عادة محلًّا يَتَنَدَّى فيه الناس ويعقدون لقاءاتهم. والحَبِيْل: مَتْنٌ مُطِلٌّ من الجبل. وفي فَيْفاء أماكن عِدّة باسم: «نَيْد»، أو «حَبِيْل».

لَـفَّتْ «مِـحَـنَّـتَها» ، قَوافـيَ مِنْ دَمِـيْ،

عَرَفَـتْ مَـحَبَّــتَها فَسَاقَـتْـنِــيْ الصَّـدَى[1]

بِجَدِيْلَـةٍ فــي شَـعْرِها عَبِـثَ الـدُّجَى

والشَّــمسُ أَرْخَــتْ بَــيْنَ نَهْــدَيْها اليَــدَا

لِتَـثُـوْرَ فـي رَبَوَاتِها «وَطَـفُ» الضُّـحَى

تَـــحْسُوْ نُضَـــارًا صـــافِيًا وزُمُـــرُّدَا[2]

(١) المِحَنَّة: ضَرْبٌ خاصٌّ من طرحات النساء.

(٢) الوَطَف: اليَمام، جمع وَطَفَة.

بُنَيَّـــةُ النَّجْـــوَى، عـــلى أَهْـــدابِها

رَفَّـــتْ طُيُـــوْرٌ فاســـتحالتْ أَنْجُـــدَا

❄❄❄

مِـنْ عَـرْفِ فَوْدَيْهـا تَنَـفَّسَ شَـارِقٌ

وعـــلى خَمِيْلـــةِ شادِنَـيْهـــا وَرَّدَا

فـي صَيْـفِها بَـرْدُ الشِّـتاءِ، شِـتاؤُها

دِفْءُ العُيُـــوْنِ النـــاشِراتِ المُلْحَـــدَا

حُلُمِـيْ هُنالِـكَ غَيْمَـتانِ بِصَـدْرِها،

تَـتَلاثَـمـانِ وتُـبْـرِمَـانِ الـمَـوْعِـدَا!

وتُسَـــبِّحُ الأَنْـــوَاءُ مِـــنْ أَعْطَافِهـــا،

نَـــوْءًا «يـــحُـحَوِّمُ» إِثْـــرَ نَـــوْءٍ «مَغْـــرَدَا»![1]

❄❄❄

يـا مَـنْ يُـرَى فيهـا المُحَـالُ حَـقِـيْـقَـةً

وتَـــدُوْرُ فـــي يَـــدِها الهُنَيْـهَـــةُ سَرْمَـــدَا

أَهْمِـــيْ عَلَيْـــكِ مَـحَبَّـــةً لا يَمَّحِـــيْ

حِنَّاؤُهـــا، وأَصُـــوْغُ جِيْـــدَكِ عَسْـــجَدَا

(١) الحُوَّام: من أهازيج المزارعين في أثناء العمل. والمَغْرَد: ضربٌ آخر من الإنشاد. وقد يُطلَق عليه: (الزامل). ويُنشَد المـَغْرَد في المناسبات الاحتفاليّة، ترحيبًا، أو قُدُومًا. بخلاف لونٍ آخر يسمّونه: «التكثيرة»، يكون في مواقف المغادرة والشُّكْر.

عُـوْدِيْ إلَـــيَّ مِـنَ الأساطِـيْـــرِ التـــي

«زَرْكَشْـتِ» نَسْـجَ خُيُوْطِهـا لِـــيْ مَعْهَـدَا

«كَـثَـبَـغْطِـــرٍ» تَهْفُـــوْ بَقايــا رِيْـشِـــهِ

مِـنْ ذِمَّـةِ الذِّكْـــرَى خَـيــالًا مِـنْ نَـدَى[1]

عُوْدِيْ كما كُنْـتِ، كـما لــم تُعْـرَفِــيْ

إلّا وقَــــــدُّكِ كـــــــالأَرِيْجِ تَـــــــأَوَّدَا

(١) الثَّبَغْطِر: نوعٌ من الطيور، يُذكر ولا يُعرف.

واستَنْطِقِـــيْ «فِيْـــنُوْسَ» أَيَّـامٍ خَلَـتْ

نَحتَـــتْ بَهـــاءَكِ لِلأُنُـــوْثَةِ مَـحْـــتِدَا

وَلَـكَمْ جَنَى «حُسْنُ الحَضَارةِ»! أيـنَ مِنْ

عَيْنَـــيَّ حُسْـــنُ حَضــارةٍ جــاءَتْ غَـــدَا؟!

❄❄❄

دارتْ تُفَتِّـــشُ أُمُّـــنا عـــن أُمِّهـــا

فينـــا، وتَـحْـفِـــرُ فـــي بَقايانـــا، سُـــدَى!

«عِـــرْقٌ شَرِبْـــتُمْ مِنْـــهُ كأسًـــا واحِـــدًا،

كيـــفَ اســـتدارَ تَـــحَدُّدًا وتَعَـــدُّدَا؟!

أَيُهَــدُّ بَيْــتٌ مِــنْ مِـدَادِ قُلُــوْبِكُمْ

شَــيَّدتُمُ؟ فلَبِــئْسَ بَيْــتًا شُــيِّدَا؟!

أَتَـرُوْحُ كُلُّ «عَسِيْفَــةٍ» فــي غِـيْــلِها

جَــذْلَى وسَــبْعُ الغِيْــلِ عنــهُ تَشَــرَّدَا؟!

أَتُـــدَارُ أحلامــيْ وآلامــيْ، ولا

يَـبْـكِــيْ عَلَــيَّ سِـوايَ فِــيَّ مُسَـهَّدَا؟!»

سَأَلَتْ (عَطَا).. سَأَلَتْ (عُبَيْدًا).. (مالِكًا)

«أَسَفِـيْ عَلَـيَّ- بَـنِـيَّ- أَيُّــكُمُ الفِدَى؟!»[1]

---

(١) عطاء، وعُبَيْد، ومالك: أبناء أحمد؛ ثلاثة إخوة، قيل هم أجداد فرعين من قبائل فَيْفاء: (وَلَد عطا)، و(آل عُبَيْد)، والثالث جَدُّ (بني مالك)، المعروفة جبالهم بجوار جبال فَيْفاء.

وتَــؤُوْبُ وَحْشَــى ، فالَحَنَــاجِرُ أَعْــيُنٌ

عَمْيَـــاءُ تَلْـــتَهِمُ الفَـــراغَ المُوْصَـــدَا

❄❄❄

مــا رَدَّ مــَجْدَكَ- يــا زَمــانُ- تَذَكُّــرٌ

أو جَــدَّ أَمْــرُكَ- يــا مَكــانُ- تَوَجُّــدَا!

لكــنَّ لِـــيْ بِمَــدَارِ تَهْيــاميْ صَــبًا

تُعْلِـــيْ جَنَــاحَ الحُلْــمِ ، قَمْحِــيَّ النِّــدَا

لِغَــدٍ سَيُــثْمِرُ سَــقْفُهُ مِــنْ فِضَّــة الــ

آمــاسِ صُــبْحًا يافِعًــا خَضِــلَ الــرِّدَا

❄❄❄

بُنِــــيَ الجِبَــالُ مِــنَ الحِجَــارةِ، إنَّــما

جَبَلـــــِيْ بأحْجَــارِ الرِّجَــالِ تـمَــــرَّدَا!

(جَمَّانُ) يَنْـــبُتُ فيـهِ مِـنْ رَحِـمِ الثَّـرَى

والآبَنُـــوسُ سَرِيْــرُهُ، حَقْــلًا بَـــدَا[1]

(١) الإشارة إلى أسطورةٍ تزعم أن امرأة ماتت وهي حُبلى، فمرَّ زوجها بقبرها بعد فترةٍ، فإذا هو يسمع صوتًا من القبر، فسأل كاهنًا في شأنه، فأشار عليه بنَبْشِ القبر، فلمّا فَعَل ما أشار به الكاهن، إذا هو يجد طفلًا حيًّا، وقد أحيى الله له نِصفًا من جسد أمه، فما يزال يغتذي برضاع ثديها! فأخذه أبوه، وعُنِيَ به، حتى نما، وسمّاه (جَمَّان). وقد كَبُر جَمَّان وأَنْجَب. كما زعموا أنه لمـّا مات، التَصَقَ بسريره، فلمّا دُفِنَ بسريره، نَبَتَتْ قوائمُ السرير، والتفَّتْ أشجارًا حول قبره!

يَنْمُــوْ (سَرِيَّــا)، فالصَّــواعِقُ صَــنْعَةٌ

فـــــي كَفِّـــهِ، قَدُّوْمَـــــهُ والمِــــبْرَدَا[1]

❋❋❋

أَلَـــقٌ هُنالِـــكَ شَــاهِقٌ يَـشْتَـفُّنِـــيْ

فَـــأَدُوْرُ فـــي رِئَـــةِ الزَّمَـــانِ تَـنَـــهُّدَا!

أَسْتَقْرِئُ الأَيَّـامَ فـي صَـدْرِيْ، وفــي

صَـــبْرِيْ غُـــبَارُ كِتابِهـــا، مُتَوَحِّــــدَا

(١) السَّرِيّ: شخصيّة أسطوريَّة فَيْفِيَّة، يزعمون أنه أَمْسَكَ صاعقةً بيده، ثم صَنَعَ منها آلاتٍ استخدمها، كالمِبْرَد، والقَدُوْم!

عَطَشِـيْ على التَّرحَالِ يَفْـتِكُ بـِـيْ هُنـا

وإِليــكِ يــا أَمَلِـــيْ شَرِبْــتُ الأَفْــؤُدَا!

رُدِّيْ صِبايَ، صِبَـاكِ فِـيَّ، صَبابَـتِـيْ،

واستَـقْبِلِــيْ، كــاليَوْمِ، أَمْسِــيْ الأَغْيَـدَا

ولْـتَـغْفِرِيْ بُعْـدِيْ القَرِيْـبَ، وتَغْفِـرِيْ

قُـرْبِــــيْ البَعِيْــدَ، ومُرْتَقَــايَ الأَعْنَــدَا!

صَوْتـِيْ على مَتْنِ الوَنَى يَسْــرِيْ إلــى

أُذنَـــيْكِ - أُمِّــيْ- فامْنَحِيْــهِ المَوْلِــدَا!



فَيْفَــاءُ، يــا بِئْــرَ المَعانِـــيْ المُفْــرَدَا

ومَعِـــيْنَ شَـــوْقٍ بـــالحُرُوْفِ تَوَقَّـــدَا

لُغَـةُ الرُّجُـوْعِ إِليـكِ أُنْثَـى، خَـطُّ هـا

تِفِهـــا بِخَـــطِّ العُمْـــرِ فِـــيَّ مُغَـــرِّدَا

لَيْسَــتْ تنَـامُ، ولا أَنـامُ، وكَيـفَ لِــيْ

لَــوْ نَــامَ جَــوَّالُ الهَــوَى أَنْ أُنْــشِدَا؟!

أَرْهَقْتِ بَـازَ الشِّـعْرِ فِـيْ تَـحْلِـيْقِـهِ

مِنْ حَيْـثُ جاءَكِ كَـانَ شِعْـرُكِ أَجْـوَدَا!

فــاللهُ قــد نَظَــمَ الجَمَــالَ قَصــائدًا

أُوْلــَـى، وكُــلُّ الشِّــعْرِ جــاءَ مُقَلِّــدَا

❄❄❄

أُلْقِيْــكِ فــي هَــامِ الأَثِــيْرِ قَصِــيْدَةً

كَحَفِيْـفِ ثَـوْبِ عَرُوْسَـةٍ دَافِــيْ الصَّـدَى

وأَقُوْلُ- تَرْحَلُ بِـيْ طُـيُوبُ حُضُوْرِها-

يــا أَنْــتِ، أَسْــلَمْتُ إِليــكِ المِقْــوَدَا

تَعِــبَ الفُــؤادُ إِليــكِ، يــا بِلْقِــيْسَهُ،

فأَتــَى يُـفَـتِّــشُ عَنْـكِ عَرْشَـكِ، هُدْهُـدَا

عَفْوًا، أنا ما عادَ صَوْتِـيْ فـي يَـدِيْ

بُهِـتَ البَيـانُ بأَحْرُفِـيْ وتَـبَلَّـدَا!

كَـمْ قُلْـتُ إِنِّـيْ شَـاعِرٌ ومُصَـوِّرٌ

حَتَّـى انْتَحَلْتُـكِ، عامِـدًا مُتَعَمِّـدَا

فَعَـرَفْتُ حَجْـمَ قَصيدتـيْ بقَصيدتـيْ

يـا رَوْعَـةَ الشِّـعْرِ الـذي لَـنْ يُقْصَـدَا!

❋❋❋

فَيْفَـاءُ، كُـلُّ ثَـرَى العُـرُوْبَةِ مُوْحِـلٌ

هَـلَّا وَهَبْـتِ ثَـرايَ نَجْـمًا يُهْـتَدَى؟!

إِنِّيْ سَــأَلْتُكِ .. تَأْكُــلُ الفَــوْضَى يَــدِيْ

وأَضُــمُّ مِــنْ تَعَبِــيْ عــلى تَعَبِــيْ اليَــدَا!

الرياض، شعبان ١٤٢٣ هـ.

شَهْقَةُ الخُلُود !

شَهْقَةُ الخُلُود !

فَيْـــفَاءُ، يـــا شَـــهْقَةَ الخُلُـــوْدِ

يا فِكْـرَةَ «الطَّـارِفِ التَّلِـــيْدِ»!

يـــا مَهْـــبِطَ الأَرضِ للسَّـــماءِ

أو مُرْتَقَى النَّجْمِ فـي القُـــيُودِ

يـــا طـــائرًا رِيْشُـــهُ فُـــؤادي

زَاهِيْ الشَّذَا أَخْضَـرَ الشُّـــرُودِ

تَهْفُـــوْ إلـــى عُشِّـــهِ دَواتـــيْ

فـــي دَوْحَـةِ الـبَرْقِ والرُّعُـودِ

تَسُــفُّ مِــنْ وَكْــرِهِ رُفاتِـــيْ

قلائــدَ الـمَجْـــدِ والجُــدُودِ

ناجَى النَّدَى صَـخْرَةً، فهاتِـــيْ

دَفاتِـــرَ الحُـــبِّ والشُّـــهُوْدِ!

❄❄❄

يــا عَذْبَـةَ البِئْـرِ فـــي الـوُرُوْدِ

يا نَـبْضَةَ الوَجْدِ فـــي الوَرِيْـدِ

شَرَّقْتُ فــي الرِّيْحِ والـمَوانِـــيْ

غَرَّبْتُ فـــي النـاسِ والعُهُـوْدِ

ورُحْـتُ فــي وُجْهَـةٍ لأُخْـرَى

كَطَـابعٍ ضَـاعَ فــي البَــرِيْدِ

مـا بَـلَّ رُوْحِـيْ سِـواكِ مـاءٌ

أو ضَمَّ عَظْمِيْ سِوَى البُـرُوْدِ

رِقِّــيْ لِـمُسْتَــقْرِئِ البُــرُوْقِ

مـا جَـدَّ مِـنْ فِكْرِهـا الوَلُـوْدِ

مِــنْ عَنْعَـــنَاتٍ بِــلا حَـدِيْثٍ

فــي صَفْحَةِ السَّـهْلِ والنُّجُـوْدِ

أَيَّانَ ذاكَ الكِتــابُ؟ .. قُوْلِــيْ!

والطِّفْلُ فـي طَـبْعِـهِ العَـنِـيْدِ؟!

***

عَلَيْـكَ وَقْفًــا سَــلامُ رُوْحِــيْ

فــي هامَـتِــيْ دَوْلَـةُ القَصِــيْدِ

تَصْـــحُوْ يَماماتُهــا بِصَـــدْرِيْ

أَنْدَى مِنَ الطَّلِّ فــي الـوُرُوْدِ

تَنْـثَالُ مِـنْ لَـفْـتَـتِــيْ غَـمَــامًا

رَفَّــتْ لَــهُ أَضْــلُعُ الوُجُــوْدِ

تَنْسَــابُ مِـنْ تاجِهـا سَمـائِــيْ

لله يــــا فاتِـــــنَ النَّـشِــــيْدِ!

❄❄❄

فَيْــفَاءُ، يـــا لَوْحَــةً بِبالِـــيْ

ويُـلاهُ مِـنْ لَوْعَـةِ الشَّـــرِيْدِ!

الوَقْـتُ رَقْـصٌ عـلى الثَّوَانِــيْ

والطُّـــرْقُ سَيَّالَــــةُ الحُـــدُوْدِ

هَـلْ لِـــيْ إِليـكِ أَصِـيْلُ يَـوْمٍ

أو ضَحْوَةٌ فـي الحِمَى الفَرِيْدِ؟

هَلْ لِـيْ إِليـكِ .. ومـا تَـبَــقَّى

في صَهْوَةِ الشَّمْسِ مِنْ صُعُوْدِ؟

هذي القُرَى فـي عُكَاظَ تَـجْـثُـوْ

فـي مَـوْسِمِ الـبَـيْـعِ والعُقُـوْدِ

مَـجْهُــوْدَةَ الـرُّوْحِ كالسَّبَايَـــا

مَضْـرُوْبَةَ العِرْضِ كـالعَـبِــيْدِ

أَنَّـــى لِعَــادَ تُعَــادُ نَخْــلٌ؟!

أو تُنْتَجُ النُّـوْقُ فــي ثَمُـوْدِ؟!

❋❋❋

فَيْــفَاءُ، يــا بَسْــمَةَ الصَّــبَاحِ

جِئْــنَاكِ واللَّيْــلُ مِــنْ حَدِيْــدِ!

«قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ»! كَمْ (قَصِيْرٍ)

فــي أَنْفِهِ الـ... مَشْيِــهِ الوَئِــيْدِ؟!

يُفْــتُــوْنَ طُلْــسَ الــذِّئابِ تَنَـزُوْ

هُنَــاكَ بالرُّكَّـــعِ السُّجُـــوْدِ

شِطْــــرَنْجَ رُوْمٍ تَـــدُكُّ فُرْسًـــا

فــي لُعْبَــةِ التَّــاجِ والبُنُــوْدِ!

....

حتَّـى مَــتَى هـذه الفَـيَـافِــيْ

تَنْداحُ فـي غَــيِّها البَـعِــيْدِ؟!

حتَّـى مَــتَى رَايَـتِــيْ كَذاتِــيْ

حرائقًــا زادُهــا وُجُــوْدِيْ؟!

قَـــوافِلًا قادَهـــا سُـــؤَالٌ

مــا لِلْعَمَـى فيـهِ مِــنْ مَزِيْـدِ!

الرياض، ٢٠٠٤.

سَلْمان!

سَلْمان!

ما جَفَّ حِبْرُكَ فـي دَمِيْ، يا خَالِـــيْ

أَبَـــــدًا، ولا أَدَبٌ سَرَى بِخَيَالِـــــــيْ

.. وفَـتَحْتُ قَلْبَكَ، عالَـمًا مِنْ أَنْجُـمٍ،

وسَمَحْتَ لِـيْ، فَجَلَسْتُ حَيْثُ حَلا لِـيْ

هذي حُرُوْفُكَ، أَمْ حُرُوْقُكَ، لم تَـزَلْ

بِالْحُـــبِّ يُشْـعِلُ نَـــبْضُها أَوْصَالِـــيْ

هذيْ «طُرُوقُكَ»، بَدْؤُها والمُـنْـتَهَى،

طَـيْــــرٌ بِســـــدْرَةِ قَلْبِـــيَ الأَطْـــلالِ

فــــي كُـــلِّ نُـــوْنٍ لَفْتَـــةٌ حُوْرِيَّـــةٌ

تُلْقِـــيْ عـــلى كَتِـــفِ الزَّمـــانِ سُؤالِـــيْ:

هَــلْ غــادَرَتْ مِنِّــيْ الأَصَابِـــعَ نَــبْرَةٌ

رُوْحِيَّـــــةُ التَّكْـــــوِيْنِ والأَفْعَـــــالِ؟!

❋❋❋

إنْ أَوْحَشَتْ مِنْكَ الــمَسَاءَ عُـيُونُــنَا

فعُيُـــونُ شِـــعْرِكَ لَذَّتِـــيْ ووِصَالِـــيْ

كَمْ كُنْتَ غَضًّا، كالتَّحِـيَّـةِ، مُشْـرِقًا،

جَـزْلًا، جَـمِيْلًا، أُمَّـةً بِحِـيَالِـيْ

قـد كـانَ كَأْسُـكَ مِـنْ ذَكَـاءٍ كُلُّـهُ

أَشْـهَى عـلى كَبِـدِيْ مِـنَ السَّلْسَـالِ

فَشَـرِبْتُ صَوْتَكَ، صافِيًا، تَـرْوِيْ بِهِ

سَـمْتَ الكُهُـوْلِ وشِـقْوَةَ الأَطْفَـالِ

«فـي البَحْرِ يَسْبَحُ بِـيْ خَيَالٌ مُغْـرِقٌ»

غَنَّـى القَصِـيْدُ. فَهَـامَ كُـلُّ جَـمَالِ!

ولقد كَتَبْتَ بِغَيْمَةٍ خَضْراءَ خا
تِمَةَ البُرُوْقِ وجَمْرَةَ الإِشْعَالِ!
نَهْرًا مِنَ الحِبْرِ المُضِيْءِ، فَرادِسًا
مِنْ فاكِهاتِ الفِكْرِ والأَمْثَالِ!
سُبْحانَ مَنْ وَهَبَ المَواهِبَ لِلْوَرَى
وحَبَاكَ منها أَنْجُمًا ولآلِيْ!
صَوْتٌ نَمِيْرٌ، ماؤُهُ مُتَهَلِّلٌ
غَسَلَ الفُؤادَ بِقَطْرِهِ الهَمَّالِ

فَـرَبَتْ عُرُوْقُ الأَرضِ، والإِنسانِ، لَوْ

أَنَّ الحِجَـــارةَ تُسْتَـــثَارُ لِغَالِـــيْ

لَـهَفَا رَسُوْلُ العِشْقِ مِنْ حَدَقِ الذُّرَى

يَنْعِـيْكَ، يـا لُغَـةَ الضَّمِيْـرِ العَالِـيْ!

❄❄❄

إِنْ قِيْـلَ: إِنَّ الشِّعْـرَ تُلْهِمُـهُ الـرُّؤَى،

ســأَقُوْلُ: شِعْـــرُكَ رُؤْيَـــةُ الأَجْيَـالِ

فِي كُـلِّ بَــيْتٍ أَلْـفُ عَيْــنٍ، كُلَّـما

أَنْشَدْتَـــهُ جَاشَــتْ شِـعافُ جِـبَالِـيْ

تَــــرْمِيْ قَوافِـــــيَ كالنَّيَـــازِكِ تَـــارَةً

وقَوافِـــــيًا كَعَواسِـــــلٍ وِنصَــــالِ

وتُنَضِّـــــدُ النَّجْــوَى كَكَـــاذٍ يَـــانِعٍ

باقاتُــــهُ مَــــلَأَتْ عَلَـــــيَّ سِلالِـــــيْ

ورَأَيْــتُ فـــي أُفُــقِ التَّلَــقِّي أَدْمُعًــا

مَـــلَأَتْ كِتَــابَ الحُـــبِّ والإِجْـــلالِ

بِجَمالِهــــا وجَلالِهــــا ، بِنِســــائِها

ورِجَالِهــــا ، وبِـــــأَذْرُعٍ وتِــــلالِ

فَيْفَـاءُ مِنْـكَ اليَـوْمَ تَـبْكِـــيْ شـادِيًا

مَسَـــحَ الـــدُّمُوْعَ بِصَـــوْتِهِ السَّـــيَّالِ!

❋❋❋

- سَلْمانُ ، يا سَيْفًا تَسَـاقَطَتِ الظُّـبَى

وبَقِـــيْتَ وَحْـدَكَ صَـارِمَ الأَهْـوَالِ!

أَنْتَ الحِكايَـةُ ، يـا ابْـنَ آدمَ ، قُـلْ لَنـا

كَيْـــفَ ارْتَأَيْـــتَ حِكايَـــةَ الآجَـــالِ؟

- مُنْذُ الطُّفُولَةِ عِشْتُ (أَيـُّوبًا) ، إلـى

أَنْ مـاتَ صَـبْرُ الصَّـبْرِ فـي التَّرْحَـالِ!

مــا ذُقْــتُ لَوْنًــا واحِــدًا مِــنْ لَــذَّةٍ

إِلَّا بِـــهِ قُـــزَحٌ مِـــنَ الأَثْكَـــالِ!

ضَــمَّدْتُ بِـالجُرْحِ الجِـرَاحَ، ودُوْنَهـا

سَرَطَـانُ بَحْـرِ الـمَوْتِ فِـيَّ يُوَالـِيْ

قَضَمَ الشَّبَابَ- جَهَالَـةً- لَـمْ يَدْرِ مـا

فَعَلَـــتْ يَـــداهُ بِصَـــفْوَةِ الأَشْبَـــالِ!

ما رَاعَـنِـيْ الـمَوْتُ الزُّؤَامُ مُصَـافِحًا

إِذْ رَاعَ كُـــلَّ فَـــرائِصِ الأَبْطَـــالِ!

لَكَأَنَّما كانَ التَّحَدِّيْ سَرْمَدًا:

تِرْيَاقُ ما يَفْنَى بِحَيَّةِ آلِ!

أَتْعَبْتُ سَيْفَ الوَقْتِ فِيَّ. وهكذا [م]

انْتَحَرَ الزَّمَانُ، وعِشْتُ كالإِشْكَالِ:

أَيَمُوْتُ هذا المَوْتُ إذْ نَلْقَاهُ في

كَبِدِ الحَيَاةِ بِعَزْمَةٍ ونِزَالِ؟

ولَرُبَّما أَرْدَتْكَ مِنْهُ نَبْأَةٌ

صُغْرَى بِغَيْرِ شَكِيْمَةٍ وقِتَالِ!

عِشْ حَيْثُ أَنْتَ، رُجُوْلَةً فَوْقَ الثَّرَى،

ورُجُوْلَــةً تَحْــتَ الثَّــرَى الـمُنْهــاَلِ!

أَبَــدًا تُفَـتِّتُ صَـخْرَةَ الأَقْـدارِ، فــي

كَــفِّ اليَقِــيْنِ، بقُــدْرَةِ الفَعَّــالِ!

فــاللهُ فِيْــكَ، إذا تَشَــاءُ، بِكَفِّــهِ

كُـلُّ الـمُحَالِ هُنــاكَ غَـيْــرُ مُحَــالِ!

❄❄❄

يا مَنْ رَحَلْتَ ضُحًى، كأَنَّـكَ هاهُنـا

مـا زِلْـتَ تَقْـرأُ صَـفْحَةً فــي بَالِــيْ!

أَقْـوَيْتَ مَغْنَى القَلْبِ، كَمْ مِنْ سَائِلٍ

شَفَـتَــــاهُ لا تَقْـوَى عـــلى التَّـــسْآلِ!

للهِ أَنْـــتَ! مَتَـــى أَراكَ؟ فقـــد ذَوَتْ

فـي البُعْـدِ بَعْـدَكَ نَخْلَـتِــيْ وغَزالــيْ!

❄❄❄

يـا رُوْحَ «أَنْكِيْـدُو»، سَـلامًا وارِفًـا!

مَنْ لــِيْ لهـذا الحُلْـمِ مِـنْ «نِرْكَـالِ»؟!

طــالَ الغِـــيَابُ، أَلا تُطِــلُّ كَغَيْمَــةٍ

وَطْفَاءَ، تَسْأَلُ فـي الثَّرَى عَنْ حَالـيْ؟!

ما زِلْـتَ مُـنْذ غَـادَرْت تَـمْــثُلُ باسِـمًا

مِــنْ عَــنْ يَمِيْـنِــيْ تَــارَةً وشِمالِــيْ!

❄❄❄

المَــوْتُ- يــا رَبِّ- تَصَيَّــدَ شـاهِقًا

والأَمْــرُ فِيْــهِ لِعَــدْلِكَ المُتَعَالِــيْ!

ولقــد عَلِمْــتَ بــأَنَّ عَبْـدَكَ واحِـدًا

أَوْدَى، بِـــلا مَـــالٍ.. بِـــلا آمَـــالِ!

فاجْعَـــلْ ظِلالَـــكَ خَيْمَـــةً دُرِّيَّـــةً

تَغْشَـــاهُ مِنْـــكَ بِنُوْرِهـــا الهَطَّـــالِ!

وارْسُـــمْ بِلُطْـــفِكَ لَوْحَـــةً نُوْرِيَّـــةً
يَوْمًـــا طَـــوِيْلًا لـــيسَ فِيْـــهِ لَيَالِـــيْ!

يَوْمًـا بِـهِ (سِـيْزِيْفُ) نَـاءَ بِثِقْلِـهِ
ونَنُـــوْءُ مِـــنْ فَـــرَحٍ بِغَـــيْرِ كَـــلَالِ!

❋❋❋

كُـلٌّ لَهَـا، والفَـرْقُ: فـارِسُ مُهْـرَةٍ
مُتَحَـــــدِّرٌ كَتَحَـــــدُّرِ الشَّـــــلَّالِ!

وكَسِـيْرُ مِضْـمارٍ، يُـجَرْجِرُ خَطْـوَهُ
فـــي العاجِـــزِيْنَ بمَوْتِـهِ الـمُتَـوَالِـيْ!

جُدَّة، ١٩ المحرَّم ١٤٢٥هـ = ٩ مارس ٢٠٠٤م.

مَدرسةُ الحَجَّاج!

مَدرسةُ الحَجَّاج!

فِي البَدْءِ كُنَّا طَـيِّبِيْنْ!..

يَتَحَسَّسُ الأُستاذُ أَيَّامًا

طَحَتْ مِنْهُ،

كأَنفاسِ الحَزِيْنْ!

كُنَّا نُرَتِّلُ وَقْتَنَا حِيْنًا

ونَلْهُوْ بَيْنَ جَفْنَيْ صُبْحِنا

الصَّافِـيْ الجَبِيْنْ!

في البَدْءِ كُنَّا طَـيِّـبِيْنْ!

ما بَيْنَ صَفْحَةِ قارِئٍ أُوْلَى

وثانِـيَـةٍ

تَرِفُّ هُناكَ أحلامٌ غِزَارٌ في العُيُوْنْ!

فَتَطِيْرُ أَجْنِحَةُ المكانِ،

مهاجِراتٍ كالـمَرَاكِبِ،

صَوْبَ جُزْرٍ مِنْ فُـتُـوْنْ!

في البَدْءِ كُنَّا طَيِّـبِيْنْ!

ـ اقْرَأْ!..

.. وسالَ النُّورُ طَوَّافًا،

تَهَدَّجَ بَيْنَنا الأَمَلُ الحَنُونْ!

فِي البَدْءِ كُنَّا...

ـ «يا وَلَدْ!..»

... ...

يَتَحَسَّسُ الأُستاذُ قَبْضَةَ خَيْزُرَانَةْ!..

يَتَحَسَّسُ الأطفالُ خائِنَةً

بَدَتْ

كثَعالبِ العِنَبِ البَعِـيْدِ..

هَوَتْ..

هَوَتْ..

...

تَعِبَ الفَلَقْ..

وذَوَى الوَرَقْ..

ورَوَى الوَلَدْ...

... ...

... ...

... ...

آهِ يا كَفِّيْ ورِجْـلِيْ!

إنَّما أَيْنَ الحِكايةْ؟

دُلَّنِـيْ باللهِ يا راويْ الحَكايا:

كَيْفَ لِلْبَدْءِ بِأَنْ يَغْدُو خِتاما؟

كي تَظَلَّ الحِصَّةُ الأُوْلَى دواما

وتَهلُّ اللَّحْظَةُ البِكْرُ حَلِـيْـبًا،

ثَدْيُها باقِيْ السِّنِـيْنْ؟!

الرياض، ١٨ المحرَّم ١٤٢٥هـ.

تَباريحُ شهريار !

تَباريحُ شهريار!

كأَنَّكِ كُنْتِ..

وتَنْـتَظِرِيْنَ بُلُوْغَ يَقِـيْـنِـي

لتَسْقُطَ مِنْكِ الْتِفاتَةْ

على عَرْشِ رُوْحِيْ

تَتُلُّ بقايا الضَّنَى للجَبِيْنِ،

لكي تَذْبَحِيْنِي!

حَفِظْتُكِ يا وَلَـهًا مِن نُضَارِ

ولم تَحْفَظِـيْـنِـي!

أ في مثلِ هذا المساءِ

تَرُدِّيْنَ عَيْـنِـيْ

بِعَيْنَي يَدَيْكِ؟

تَصُدِّيْنَ كُلَّ سِنِـيْنِ التَّماهِيْ بِـنِسْغِ المَحَبَّـةِ،

قُطْنِ الثَّواني الشَّذِيَّةِ،

حيثُ بَنَـيْتِ بِحِلِّيْ رَحِيْلِيْ

على صَفحةٍ مِن أَنِـيْنِـي؟

تَكُفِّيْنَ،

إذْ أَدْرَكَتْنِـي النِّهايةُ،

عن أَنْ تَقُولي المُباحَ..

كأنَّكِ لم تَعْرِفِـيْـنِـي،

ولم تُسْمِعِيْـنِـي

بأَوَّلِ لَيْلِيْ:

بِأَنِّي «المَلِيْكُ السَّعِيْدُ»!

زَمانًا تَرَبَّتْ طُيُوْرُ حُرُوفي بأَغصانِكِ المُـثْـقَلاتِ

بفاكهةِ المَوْسِمِ الرَّازِقِيِّ،

وذِكْرَى حَنِـيْـنِـي!

أهذي المدينةُ أَنْتِ،

أهذي الشَّوارعُ مَجْرَى سِنِـيْـنِـي؟!

أهذي اللَّيالي لَياليكِ أَنْتِ؟!

لماذا سَكَبْتِ جَمالَكِ في غَـيْرِ عَيْـنِـيْ؟!

لماذا فَتَحْتِ خِزَانةَ رُوْحِيْ،

وبِعْتِ كِتابِيْ الأَخيرَ،

وبِعْتِ جُنُوني؟!

رأيتُكِ لا تَحفظينَ وَصايا الأُمُـــوْمَةِ،

يا ظَبْـيَةً مِن خُلاصَةِ تِـبْرٍ،

ولا تَحفظينَ ارتباكَ الـمَرَايـَا على ناهِدَيْكِ،

رأيتُكِ أُنْثَى كَكُلِّ النِّسَاءِ،

فهلْ تَحْفَظِـيْـنِـي؟!

(.. تُلَمْلِمُ أَسْمَالَ ما كانَ يوما

يُسَمَّى عباءَتَها..

ثُمَّ تَقْذِفُ في العَيْنِ سَهْما):

- «كأَنَّكَ كُنْتَ.. وكُنْتَ... وكُنْتَ..

أيا رُجُلًا شِبْـهَ أُنثَى..

تَنَامُ على ساعِدَيَّ مساءً،

وتَنْسَى الحِكايةَ عندَ الصَّباحْ!

حَفِظْتُكَ لكنَّكَ الرَّجُلُ المُستباحْ!

تَعَزَّ بِدَمْعٍ..

أُعِيْرُكَ عَيْنِي؟!

كَرِهْتُكَ يا رَجُلًا مِنْ نُواحْ!»

- أنا الظَّاعِنُ الآنَ في تِيْهِ صَوْتِـيْ

أنا الآنَ...

ها أَنْتِ تِـيْ تَسْكُبِيْنَ حَلِيْبَ حُرُوفي الشَّهِيَّ

لِقِطَّةِ عُمْرٍ جَـنِـيْنِ!

وتَستَخْرِجِيْنَ رَغِيْـفِيْ الكَسِيْرَ

لذاكَ الخَصِيِّ..

وذاكَ المَهِيْنِ

المَهِيْنِ!

وتَقْتَطِـفِيْنَ لَـهُ

قَصْعَـةً بَعْدَ أُخْرَى،

بكِلْتَا يَدَيْكِ،

فزَيتونُ عُمْري يُبَاعُ لدَيْكِ..

رخيصًا..

وأَحْمَـرُ تِـيْـنِـيْ!

طُيُوْرٌ مِنَ الجُوْعِ جاسَتْ بمُهْجَةِ أَمسي،

طُيُوْرٌ تَجُــوْسُ بمُهْجَةِ يَوْمي الكَمِيْنِ!

وسَيْفي اليمانيْ الأَثِيْرُ...

(.. تُشِيْحُ وتَضْحَكْ):

- «.. ألا ليس سَيْفَكْ!..»

- .. بِفَضْلِكِ أَنْتِ

يُراقِصُ أُغْنِـيَةَ «البُوْبِ» و«الرُّوْكِ» لَيْلًا

Britney Spears

على شَفَـتَـيْكِ

و **Toni Braxton**

تَـبُتُّ وَتِـيْـنِـيْ!

وها قد هَرَقْتِ سَمائي

على مَصْرَعَيْكِ

فَتَحْتِ بِمَحْضِ انتقائكِ كُلَّ ثَمِيْنِ!

وِمِرْبَدُ يَوْمِيْ

كَمِرْبَدِ أَمْسِيْ

رُعَافُ الدِّنَانِ العِتَاقِ

يُدَارُ لِصَيْدٍ سَمِيْنِ!

- «لآخِرُ مَن يَحْلِقُ الرأسَ أَنْتْ!

بِهِ بِعْتَني، يا فَرزدقْ..

بِهِ بِعْتَني، يا جَريرْ..

وسُوقُ النِّخاسةِ هذا كَسُوقِ الحميرْ!

نُهاقٌ

نُهاقٌ

وآخرُها في مطايا الأميرْ!»

- أُحِبُّكِ لكنْ..

أُحِبُّكِ لكنْ.. قَذَفْتِ بِحُبِّيَ حُبِّيْ

لِيَغْتَصِبَ الجَسَدَ المُستباحَ زَنِيْمٌ

ويَسْتَبِيَ اللَّحظةَ الأَبَدِيَّةَ دُوْنٌ

فيَحْتَلَّ نَفْسًا بِنَـفْسِـيَ دُوْنـِيْ

أيا مَنْ تَعِبْتُ

لأَبْنِـيَ فِيْكِ غَزَالَـةَ هذي البَراري

تُضيءُ مَراتِعَ هذا الوُجودِ الحَزينِ الحَزينِ!

.. حَبِيْـبَـةَ وَهْمِـيْ

أهذا فِراقٌ،

أهذا هِلالٌ خَصِيْبٌ،

وغَادَرَ صَدْرِيْ الجَدِيْبَ، وغَادَرَ دِيْـنِـيْ؟!

رَفَعْتُ الخِياناتِ عن خانةِ الشَّكِّ،

لكنْ..

خَسِرْتُ بِأُمِّ الصَّباحِ بَقايا يَـقِـيْـنِـيْ!

❄❄❄

سَلامٌ على السَّالِكِيْنَ لِغَرْبِ العِبارَةِ،

بِنْـتُمْ وبِنَّا،

أما كانَ في وُسْعِكِمْ أَنْ تَفُوْا، لَوْ قَليلًا..

وأَنْ تَذْكُرُوْنِيْ؟!

لماذا كَتَبْتُمْ قِراءةَ آخِرِ سَطْرٍ

بِعَكْسِ اتِّجاهِ الكِتابَةِ..

عَكْسِ اتِّجاهِ عُيُوْني؟

سَلامٌ على آخِرِ السَّطْرِ هذا!

فإِنِّي أَراهُ

أَراني

بِخَلْفِ الصَّحِيْفَةِ نَمْشِيْ،
لِسانًا مُبِيْنًا،
وخَطًّا
بِهِ العَـرَبِيَّةُ تأْرِزُ صوبَ الخِيَامِ السَّبِيَّةِ..
صَوْبَ النَّخِيْلِ الرَّهِيْنِ!

أَراني
أَراهُ
بِذَرَّاتِ جِسْمِي المُسَجَّى بِصَمْتِيْ،
أنا المَلِكُ الضَّرْبُ،

لم تَعْرِفِـيْـنِـي!

... ...

– «**عَرَفْتُكَ يا نُوْنَ عَيْني!**»

... ...

– **سأَبْنِي خَيالًا جَديدًا يُـرَبِّي حُصُوني!**

بِرُغْمِ ظُـنُوْني

المُشِيْحَاتِ عنكِ وعَنِّي

ورُغْمِ النُّسُوْرِ

تُنَقِّرُ كُلَّ جِراحاتِ صَدْري

تَنَقِّضُ جُثْمانَ هذا النَّهارِ المَدِيْنِـي!

❄❄❄

جَناحانِ يَوْمًا

بِرِيْشِ التَّحَدِّي

يَضُمَّانِنا،

يا مَلِيْكَةَ هذا السِّياقِ الهَجِيْنِ!

ويَمْضِيْ بِأَزْرَقِ أَسمائنا

زَوْرَقٌ لِلبَعِيْدِ

القَرِيْبِ

الضَّنِـيْنِ!

هُناكَ تَعُوْدِيْنَ تِلْكَ الحِكايَةَ

أَلْفًا..

أَعُوْدُ أَنَا

قَلْبَ ذاكَ الفَـتَى

الفَارِسِ

المُسْتكِـيْنِ!

أَنَا شهريار..

أَنَا شهريار!

الرياض، المحرَّم ١٤٢٥هـ.

إلى شُعراء «البيتزا هوت»!

إلى شُعراء «البيتزا هوت»!

(في طَقْسِ عُبُورِنا الأَخير)

ما زالتْ

ثَمَّةَ أُنْثَى واقِفَةٌ،

في رَدَهَاتِ الرُّوْحِ القُصْوَى،

كخَفَايا عِقْدِ الكَاذِ[1] الأُوْلَى،

---

(١) الكاذ: الكاذي.

تَسْقِيْنا مِن عَينَيها،

نَبْتاعُ قصائدَها بقصائدِنا،

كي يَشربَ نادينا

كأسَ الرَّاحِ المَكْسُوْرَةَ داخلَنا،

إذْ نَـرْبِتُ حُمْلانَ الأفكارِ،

رَوابضَ بَيْنَ حَواجِبِنا!

ها إنَّا كُلَّ مساءٍ

نَحْتَلِبُ الكلماتِ

كمَعْزٍ مِنْ يَدِها

...

مُلِئَتْ يَدُنا

لَبَنًا،

خَمْرًا،

فَلْنُحْيِيْ طَقْسَ مواسِمِنا البَحْرِيَّةِ،

هذا مَوْسِمُنا

ولْتَصْعَدْ حُورِيَّاتُ البَحْرِ

تَصِيْدُ مَلامِـحَها بمَلامِـحِنا!

آهٍ ما أَبْهَجَ مَوْسِمَ هذا الطِّفْلِ

القابِـعِ في أُمِّهْ!

آهٍ ما أَبْهَجَ مَوْسِمَهُ المائِـيَّ،

ويا خُسرانَ مَواسِمِنا!

جَنَّاتُ الخُلْدِ لَهُ أَبَدًا!

وجَحيمُ الشِّعْرِ تَعِيْثُ بساعَـتِنا!

لِوَمِيْضِ لَيالِيْهِنَّ الحُمْرِ،

كَخُضْرِ تَرائبهِ بتَرائبِنا،

ها هُنَّ أولئكَ حَسْناواتُ المَوْتِ

يُقَطِّعْنَ الأَيْدِي

يَصْطَدْنَ بَراءةَ يُوسُفِنا

بِشِبَاكِ خَطِيْئَـتِهِ الأُولَى وشِباكِ خَطِيْئَـتِنا!

كحَماماتٍ،

هاهُنَّ أُولاءِ مَعًا

يَسْقِيْنَ طُفولةَ غَفْوَتِهِ الجَذْلَى

عُشْبَ الوَجْدِ الدَّافي

ومُوَرِّدَةُ الحَلْماتِ

تُجاذِبُ جَذْوَتَـهُنَّ بِجَذْوَةِ نَشْوَتِنا

لكنْ،

دِرْكِيْتُو لم يُعْجِبْها شَكْلُ حَمَامَتِها،

نِنْيَاسُ يُنَفِّرُ كُلَّ حَمَامِ القَصْرِ ببابِلِنا!

وتَواريخُ الآشُوْرِيِّينَ تَدُوْرُ تَدُوْرُ،

كَفَلْكَةِ مِغْزَلْ

آشُوْرُ:

-«سُرَّ مَنْ لا رَأَى!»-

تاريخُ حِصانٍ أَعْوَرْ

رِيْشُ جَناحَيْهِ يَشتعلانِ بِزَيْتِ مَشِيْمَتِنا!

آهٍ ما أَبْهَجَ مَوْسِمَ هذا الطِّفْلِ

القابِـعِ في أُمِّهْ!

آهٍ ما أَبْهَجَ مَوْسِمَهُ المائِـيَّ،

ويا خُسرانَ مَواسِمِنا!

جَنَّاتُ الخُلْدِ لَهُ أَبَدًا!

وجَحيمُ الشِّعْرِ تَعِيْثُ بساعَتِنا!

بِمَحَارَةِ يَعْقُوْبَ «المُـتَشائِلِ» فينا

نحنُ الْـ.. قَدَّمْنَاهُ ضَحِيَّـتَنا

و«ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ»!

كي يَأْكُلَـهُ الذِّئبُ،

أو يَأْكُلَـهُ الجُبُّ،

أو يَأْكُلَـهُ الحُبُّ الفَيَّاضُ،

تَكَوْثَرَ مِن «أبناءِ اللهِ، أَحِبَّتِهِ»،

واجْتَبَّ بِأُمِّ الأَرضِ جميعَ أَحِبَّـتِنا!

وبأَيدينا نحنُ،

لا أَيدي الذِّئبِ،

ولا أَيدي العِبْرانِـيِّـيْنَ،

قَتَلْنَاهُ!

لتُغَنِّيَ أجيالُ الشُّعَراءِ الشَّعْبِـيِّـيْنَ

بِطَقْسِ ذَبائِحِنا،

نحنُ الشُّهَداءُ بِشِعْرِ الطَّقْسِ،

كقافيةِ الطَّبْلِ البَلَدِيِّ بحارتِنا!

وبأَيدينا؛

...

فضمائِرُنا

طَهَّرْنا منها كُلَّ خلايانا،

عَقَّمْنا الأَيديْ مِنْ مِكْرُوبِ سُلالِتنا

حاصَرْنا كُلَّ جُيُوبِ النَّخْوَةِ في دَمِنا،

وكَتَبْنا كُلَّ حُروفِ الكِذْبَـةِ في فَمِنا،

وحَمَلْنا اللَّا شَيْءَ العَبَـثِـيَّ على يَدِنا،

وعلى الأُخرَى أَرْسَلْنا الأَشواقَ الوَرْدِيَّةَ،

تُوقِدُنا

فَيَدانِ:

يَدٌ نامَتْ،

ويَدٌ سَرَقَتْ يَدَنا،

.. وتَطَوَّحَتَا بِنَقائضِنا!

وبأَيدينا؛

...

مُنْذُ:

غَشِيَتْ قَيْسًا لَيْلَى..

لتَمُدَّ لَهُ نَعْنَاعَ يَدَيْها،

حُلُـمًا،

يَفْنَى قَيْسٌ،

ويَدَا لَيْلَى ليستْ تَفْنَى!

فغَدَا، وَلِـهـًا، كحِصانٍ أَدْهَمَ، يَعْدُو في غَدِنا!

وزَعَمْنا أنَّ الجَنَّـةَ مَوْعِدُهُ،

وحَلَفْنا أنَّ الجَنَّـةَ مَوْعِدُنا!

وبأَيدينا؛

...

مُنْذُ:

خانَتْ لُغَةٌ حُبْلَى..

كُنَّا خُنَّا

فجَعلناها «سِرْكًا» أَعْمَى،

يَتَأَرْجَحُ في حَبْلَيْ مَعْنَى:

مِن «رُوْما العَصْرِ» إلى «نحنُ كُنَّا»؛

مَشْطُوْرِيْ القامةِ،

«نَمْشي»،

مَكْسُوْرِيْ المَبْنَى!

فَبِأَيَّةِ ما نَحْوٍ عَرَبِـيٍّ نُعْرِبُنا،

وبِأَيِّ عَرُوْضٍ شِعْرِيٍّ نَـبْنِـيْ الوَزْنا؟!

شُعراءَ الزَّفَّةِ،

عَفْوًا،

هل كانَ (الدُّرَّةْ)،

في نَهْرِ الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى،

مُحتاجًا فَحْلًا مَخْصِيًّا

يُلْقِيْ فينا «دُرَّةُ»؟!

هل كانَ أَبُــوْهُ،

بِدائرةِ المَوْتِ الكُبْرَى،

يَحتاجُ لِشاهدِ قَبْرٍ شِعْرِيٍّ

يُمْلِـيْ دَمُهُ سَطْرَهْ؟!

ولَكَمْ دُرَرٌ سَقَطَتْ،

مِن قَبْلُ،

وكَمْ تَسْقُطْ؟!

في أَيدينا،

مِن أَيدينا،

وبأَيدينا!

شُعراءَ الزَّفَّةِ،

مَهْلًا،

هل كانتْ بَغدادُ بِحاجةِ فَحْلٍ مَخْصِيٍّ

يُحْيِيْ في المِرْبَدِ شِعْرَهْ؟!

فَلَكَمْ بَغدادُ هُنا سَقَطَتْ،

مِن قَبْلُ،

وكَمْ تَسْقُطْ؟!

في أَيدينا،

مِن أَيدينا،

وبأَيدينا!

شُعراءَ الزَّفَّةِ،

لُطْفًا لا أَمْرًا،

أَفْتُوْني في أَمْرِي:

هل كانتْ جُمْجُمَةُ الشَّيْخِ المَشْلُوْلِ،

الطَّاعِنِ في الكُرْسِيْ،

سَيُرَوِّيْها «كَلَشِنْكُوْفُ» الكَلِماتِ؟!

عَصائبَ كالطَّيْرِ

حامَتْ فَوْقَ الفَرْعِ..

دُوْنَ الرَّأْسِ

بِمُدَجَّجَةٍ مِن آلاتِ الشِّعْرِ

كَيْ تُـرْعِدَ..

تُـمْطِرَ..

مِن سُحُبٍ حَرَقَتْنا مِثْلَ «دَخُوْنٍ» هِنْدِيٍّ،

لِتُلَقِّنَ- صاحَتْ بِـيْ-

فَجْرَ العَنْقاءِ بالرَّسِّ:

أنَّ الغَدَّارَ لهُ يَوْمٌ..

وسَيَذْرِفُ مِن دَمِهِ غَدْرَهْ؟!

ولَكَمْ رأسٌ سَقَطَتْ،

ولكَمْ تَسْقُطْ؟!

في أَيدينا،

مِن أَيدينا،

وبأَيدينا!

شَهِدَتْ «كَمِرَا» أو لَـمْ تَشْهَدْ

هاهُمْ أطفالُ الأَرضِ المُحْتَلَّةْ

[ما شَاءَ اللهْ!]

مِن رامَ اللهِ إلى البَصْرَةْ،

في الفَلُّوْجَةْ،

في جِيْنـِيْنَ الثَّكْلَى،

في بَعْقُوْبَةْ،

حَطَبُ الحاخامِ الأَكْبَرِ والأَصْغَـرْ

وفَطِيْرُ الرَّبِّ يَهوذا مُـخْضَلٌّ بِنَدِيٍّ مِن دَمِنا الأَحْـمَـرْ

«... هلالويا»..

«اللهُ أَكْبَرْ» !

...

وحَناجِرُنا فَغَرَتْ بِغُـبَارِ قصائدِنا!

تَعِبَتْ أَرقامُ «البُرْصَةِ» مِن دَمِنا

وتَعِبْنا نحنُ نَعُدُّ القَتْلَى في عُرْسِ (العَمْ سَامْ)!

فَلْتُعْطُوا الشِّعْـرَ وهذا العَدَّادَ الأَفْعَى

رَبًّا للشِّعْرِ سِواكمْ،

أو رَبًّا لِلْعَدْ

لِنَمُوْتَ،

نَمُوْتَ هنا بِسَلامْ!

ها نَحنُ أُولاءِ على إِيْقاعِ الدُّرِّ،

تَسَاقَطُ مِن دَمِنا،

مِن عِقْدٍ كانَ فَرِيْدًا

كالشَّرَفِ العَرَبِيِّ،

تَنَاثَـرَ بَيْنَ قَبائلِ هذي الأَرضِ،

سَنَحْتَفِلُ،

لِنُغَنِّيْ مَوَّالًا آخَرْ،

ونُعَنِّي أجيالًا أُخْرَى:

«يا لَيْلَ [العُرْبِ] مَتَى غَدُهُ

أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ»؟!...

لَوْ بَعْضَ حَيَاءٍ،

يا شُعَراءَ الزَّفَّةِ!

بَعْضَ حَيَاءْ!

...

لَوْ بَعْضَ حَياءٍ،

يا «فِرْقَةْ حَسَبَ اللهْ»،

مِن شُعَراءِ المَشْرِقِ لِلْمَغْرِبْ!

شُعَراءَ الشِّعْرِ «البِتْزَا هُتْ»

و«المكدونالدزْ»،

كَمْ مِنْ «عَوْلَـمَـةٍ» لِلرِّقّ

وتَبْدِيْلٍ لِلْأَسماءْ؟!

بَعْضَ مَذاقٍ لِلْكَلِماتِ،

وبَعْضَ رُوَاءْ!

لَقَصِيْدَةُ صَمْتٍ واحدةٍ

أَشْهَى مِن هذا «الشِّعْرِ- بِغَاءْ»!

لَقَصِيْدَةُ صَمْتٍ واحدةٍ

أَشْجَى مِن هذا العِيِّ البَـيِّنِ يَفْضَحُنا!

ويُعَرِّي في الآتيْ

بكِتَابِ التَّاريخِ الأَبَدِيِّ نَمُوْذَجَنا!

لَقَصِيْدَةُ صَمْتٍ

أَشْرَفُ مِن أَبْيَاتِ «الفَرْقَعَةِ»

المُزْدَانَةِ...،

تَسْعَى في هذي الملْهَاةِ صَباحَ مَساءْ!

هل شَالَ لِواءَ الشِّعْرَ هُنا

أَحَدٌ لم يَدْخُلْ طَقْسَ جَنائزِنا،

في بِشْتٍ «سوبرمانيٍّ» أو رَبْطَةِ عُنْقٍ حَمْرَاءْ؟

لِيُقَدِّمَ مُحْرَقَـةً أُخرَى،

قَرْنَاءَ كَكَبْشِ بَنِيْ عَبْسٍ..

ويَسُحَّ قَصائِدَهُ الخَنْسَاءْ؟

يَتَأَبَّـطُ رائعةً عَصْمَاءَ،

بِكارَتُها جَدْبٌ،

وكُهُوْلَـتُها صَحْرَاءْ!

رَشَقَتْ دَمَــهُ بِعُصَارَةِ لَوْزِ الفِتْنَةِ في عَيْنَيْ حَوَّاءْ!

لِتُراوِدَ عِفَّـتَـهُ،

فَتُراوِدَ عِفَّـتَنا لُغَةٌ بَيْضَاءْ!

وكِسِكِّـيْنٍ

أَلِفَتْ يَدُها يَدَنا،

ذَبَحَتْ جِيْلًا سَلَفُوا مِنَّا،

وسَتَذْبَحُنا..

شِعْرًا:

وجميعًا نَحنُ هُنا شُعَراءْ..

نَثْرًا...

نَحْرًا:

وجميعًا نَحنُ هُنا «نُحَرَاءْ»!

وجميعًا نَحنُ نُغَنِّيْ، عَنْ غَدِنا:

«يا طَقْسَ عُبُوْرٍ،

قُلْ لِي شيئًا،

ما عادتْ لُغَةُ التَّرْحالِ تُعَزِّيني!

أغَدًا شَمْسٌ أُخْرَى؟

أَمْ شَمْسُ الأَمْسِ

سَتَكْسِرُها أُمِّي

كي تَسْقِيْني؟!»

يا تُجَّارَ الكَلِماتِ،

حَيَاءً!

نَرْجُوْكُمْ.. لَوْ بَعْضَ حَيَاءْ!

ما قالَ الشِّعْرَ هُنا

أَحَدٌ أَبَدًا

شَفَتَاهُ تَحترمانِ الشِّعْرَ،

وهذا المَشْهَدَ،

أو نَفْسَهْ!

Bloomington, USA, 5/ 11/ 2000. – الرياض، ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٣.

مُناجاة!

مُناجاة!

أَنَا،

يا باريَ الأَكوانِ،

آيةُ كَوْنِكَ الأَسْمَى،

فكُنْ مِنِّيْ رِضَا كَوْنِي!

إِلَـٰهي ،

ثارَ في أَمْنِيْ قَطَا خَوْفِيْ،

إليكَ، ومِنْكَ، تَحْدُوْ بِـيْ عَناوِيْنِيْ!

إِلَـٰهي،

إنْ زَهَوْتُ، فأَنْتَ أَشواقي،

قَوافِيْ الغَيْمِ تُزْهِرُ

فِي بَساتِيْـنِـي!

لَكَ، اللَّهُمَّ، حُكْمٌ،

فيهِ حِلْمٌ،

فيهِ عِلْمٌ بالمُوَارَى في شَرايِـيْـنِـي

فَسُقْنِـيْ، سِرْبَ أَطْـيَارٍ

لِأَعْشَاشِ الأَمَانِ الخُضْرِ!

صُغْ صَوْتِـيْ وتَلْحِيْـنِـي!

ولا تَحْرِمْ يَمامَةَ صَدْرِيَ الأُوْلَى،

فَـتَـكْسِرْ رِيْشَ هذا الحُبِّ بِالطِّيْنِ!

تُغَنِّيْ بَيْنَ أَغْصانِ المَثانِـيْ،

سَالَ مِنْها النُّوْرُ فِي جُرْحِيْ

لِتُـبْرِيْـنِـي!

لقد أَسْلَمْتُ أَنفاسي،

فَصُبَّ اللَّازَوَرْدَ عَلَـيَّ في أَقْصَى مَوازيني!

بِناصِيَـتِـيْ وأَقداميْ،

بِإِقداميْ وإِحجاميْ،

بَرِئْتُ إليكَ مِن ذاتي!

بَرِئْتُ إليكَ،

يا باريْ الوَرَى،

مِنِّي!

إِلَيْكَ (أَنَا)!

فَخُذْنِـيْ مِن إِراداتي!

وحَرِّرْنِـيْ مِنَ الماضي،

مِنَ الآتِيْ،

مِنَ الآنِيْ،

ومِن عاداتِ عاداتي!

يَقُولُ اللهُ[1]:

(١) من معاني «قال، ويقول» في اللغة: أشارَ، وأَخبرَ، وقَضَى. ولذلك فإن التعبير بـ«يقول الله» هنا مجازيٌّ، بطبيعة الحال؛ أي أن هذا هو مضمون قول الله، وإرادة الله، ورحمته، وفحوى ما أَخبرَ به في كتابه. كما في قوله تعالى: «قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى.» (سورة طه: ٤٦). وقوله: «أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم؟ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ.» ←

«قَدْ سَمِعَتْ..

وقَدْ وَسِعَتْ أَنِيْنَ الكَوْنِ، كُلِّ الكَوْنِ، كلْماتي!»

لقد ضاقتْ بِـيَ الأَسْماءُ،

والأَوْجاعُ،

إنْ ضاقتْ عَنِ الرَّحمـٰنِ أَنـَّاتـِي!

دَمِيْ نَهْـرٌ سَرَى،

أَنْتَ الذي لَوَّنْـتَـهُ،

أَنْتَ الذي أَحْصَى كُرَيَّاتي!

(الزخرف: ٨٠). وقوله: «وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.» (العنكبوت: ٦٠).

فَأَجْرِ دَمِي،

وأَقْرِ فَمِي،

ولكنْ..

في ثَـرَى ما شِئْتَ أَنْ يَأْتِـيْ مِنَ الآتِـيْ!

إذا ما مِتُّ، يَكْفِيْـنِـي،

ليُحْيِـيْـنِـي،

بِأَنَّكَ فِـيَّ حَيٌّ بَيْنَ ذَرَّاتي!

يَدِيْ،

رِجْلِـيْ،

دَعَوْتُكَ، رَبِّ، لا تُطْلِقْهُمَا مِنِّي!

ولا تُرْسِلْ شُوَيْهاتِي!

بِغَيْرِ حِماكَ، يا رَبِّ!

وكَبِّلْنِيْ بِحَبْلِ رِضَاكَ،

يا أَشْهَى اعْتِقالاتِي!

وخُذْ عَيْنِي،

إذا ما أَبْصَرَتْ

ما ليس يُرْضِيْ عَيْنَكَ، اللَّهُمَّ، عَنْ عَيْنِي!

وأُذْنِـيْ،

دَفْتَرِيْ السِّرِّيَّ،

مَزِّقْهُ!

ولا تَفْضَحْ بِأُذْنِـيْ كُلَّ مَكْنُوْنِـي!

إِلَـٰهي،

(صاحَ أَيُّـوْبُ):

«إذا ما صِرْتَ في كُلِّي،

فَكُلِّي ليسَ يَعْنِـيْنِـي!»

....

الرياض، رمضان ١٤٢٤هـ.

الشاعر

الأستاذ الدكتور عبدالله بن أحمد الفَيفي

- مواليد جبال فَـيْـفاء: ١٩٦٣م.
- شاعرٌ وناقد. أستاذ النقد الحديث في جامعة الملك سعود بالرياض، عضو مجلس الشورى السعودي، رَأَسَ لجنةَ الشؤون الثقافية والإعلامية في المجلس، وبعضَ وفود المجلس خارج السعودية.
- حَصَلَ على الجائزة الدولية الأُولى في المسابقة الشِّعرية لمهرجان «الأقصى في خَطَر (الرابع عشر)»، ٢٠٠٩م، عن قصيدته «مُهرة الشمس».
- حاز جائزة نادي الرياض الأدبي المحكَّمة، لعام ٢٠٠٥، حول (الدراسات في الشِّعر السعودي)، عن كتابه: «حداثة النصّ الشِّعري في المملكة العربية السعودية».
- مُنِح جائزة (الإبداع في الشِّعر والنقد، لعام ٢٠٠١)، لأفضل كتابٍ عربيٍّ في نقد الشِّعر، عن كتابه «الصورة البَصَرية في شِعر العُميان: دراسة نقديّة في الخيال والإبداع»، مِن قِبَل مؤسَّسة يماني الثقافيّة. وهي جائزةٌ عربيّةٌ محكَّمة، مقرّها القاهرة.
- البريد الإلكتروني: p.alfaify@gmail.com
- الموقع الشبكي: http://khayma.com/faify

كُتُبٌ أخرى للشاعر

١- (٢٠١١). **شِعر النُّـقَّاد: استقراءٌ وصفيٌّ للنموذج**. (إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث).

٢- (٢٠٠٨). **ألقاب الشعراء**. (إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث).

٣- (٢٠٠٧). **مرافئُ الحُبّ**. ديوانٌ شِعريٌّ للشاعر سلمان بن محمّد الحَكَمي الفَيفي (١٣٦٣- ١٤٢١هـ= ١٩٤٣- ٢٠٠٠م)، قام بتحقيقه. (جازان: النادي الأدبي).

٤- (٢٠٠٦). **نَقْدُ القِيَم: مقاربات تخطيطيّة لمنهاج علميّ جديد**. (بيروت: مؤسّسة الانتشار العربي).

٥- (٢٠٠٥). **حداثة النصّ الشِّعريّ في المملكة العربية السعودية: (قراءة نقديّة في تحوّلات المشهد الإبداعيّ)**. (الرياض: النادي الأدبي).

٦- (٢٠٠١). **مفاتيح القصيدة الجاهلية: نحو رؤية نقدية جديدة عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا**. (جُدَّة: النادي الأدبي الثقافي).

٧- (١٩٩٩). **شِعر ابن مقبل، قَلَق الخضرمة بين الجاهليّ والإسلاميّ: دراسة تحليلية نقدية**- جزءان. (جازان: النادي الأدبي).

٨- (١٩٩٦). **الصورة البَصَريّة في شِعر العميان: دراسة نقدية في الخيال والإبداع**. (الرياض: النادي الأدبي).

٩- (١٩٩٠). **إذا ما الليل أَغْرَقَـني**: (مجموعة شِعريّة). (الرياض: دار الشريف).

Prof. Dr. Abdullah A. Alfaify is a full Professor in King Saud University, College of Arts, Department of Arabic Language and Literature, (Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia). He is also a member of Ash-Shura Council, in Saudi Arabia. He received his education in Saudi Arabia and the United States of America. He is a poet, critic, and academic researcher. He published two collections of poetry, authored and published several books, studies and articles.

On his web-site, (http://khayma.com/faify), there are different pages about his archives and activities. Also you can visit his web- page:

http://faculty.ksu.edu.sa/dr.aalfaify/default.aspx

Books, Researches and Papers:

- The Poets' Titles (A Study in The Roots of Arabic Theory About Poetry and Criticism), 2009.
- Pre-Islamic poetry between Lyricism and objective Representation, 2007.
- The Criticism of Values: Preliminary Approaches to The Foundation of a New Method, 2006.
- The Poem-Novel: Genres Overlapping in The Rhetoric of The Modern Text: "The Belt" by Abi Dahman as a Model, 2006.
- A Reading in The Essential Structure of The Modern Arabic Criticism (The Book of Dr. Ahmed Dhaif, "An Introduction of The Study of Arabic Rhetoric": As a Model), 2006.
- Faifa, (a poetic collection), 2005.
- The Modernism of The Poetic Text in Saudi Arabia, 2005.

- The Keys of Pre-Islamic Poem, 2001.
- Ibn Mogbel Poetry: Between Pre-Islamic Era and Islamic Era, 1999.
- A Reading in The Structure of Contemplative Text (Geological Reading of "Hayy ibn Yagzan's Naba'": As a Model), 1999.
- The Critics' Poetry, 1996; 2011.
- The Visual Images of The Poetry of The Blind, 1996.
- When I Was Drowned By The Night, (a poetic collection), 1990.

In addition to other researches, critical studies and many articles in Saudi newspapers.

فَيْفاء
هَبَّة الطفولة!

شعر

أختلفُ مع مَن يرون حَجْر اللغة الشعريّة على ما ألِف الناس، ويُبادرون إلى نَعْت مَن ندّ عن ذلك، ولو قليلاً، بالحُوشيّة، والإغراب، أو بالتوعُّر، والغموض. ذلك أن معارف الشعراء باللغة مختلفة، وإلمام الناس بسماواتها متباينٌ جدًّا؛ ولو أُخِذَ في الشِّعر بمبدإ تطريب القارئ العامّ، وإرضاء الجمهور العريض، واستدرار التصفيق السـاذج، إذن لانتفت وظيفةُ الشِّعر اللغويّة، وطموحاته الخياليّة، في استحياء مندثرٍ، أو تجديد قديمٍ، أو استشراف شُموس أُخرى.

إنّ لكلِّ مقامٍ مقالًا، ولكلِّ سياقٍ لغة. وتعليب الآفاق التعبيريّة في قوالب، تنفي القديم أو الحديث، هو إجدابٌ لطاقات اللغة، بتحجيرها في القديم، رفضًا للجديد، بحُجّة العاميّة أو العُجمة، أو الانسلاخ عن القديم منها، وإماتته، بحُجّة التحديث والعصرنة. وتلك، في حقيقة الأمر، إشكاليّةٌ تتجاوز اللغةَ إلى تفكيرٍ مغلوطٍ حول علاقة التراث بالحداثة. وأحسب أن مِن مهمّة الشِّعر الأساس كَسْر هذه الساعة الفكريّة الجامدة؛ بريشةٍ شِعريّةٍ تصبو إلى استحياء ماضٍ من جهةٍ، وتطوير حاضرٍ من جهةٍ أخرى. كما أنّي، في الوقت نفسه، وإنْ كنتُ لا أرى تدخُّل الشاعر بشرح شِعره، أجِد مِن حقّ القارئ (النِّسبيّ) تقريب النصّ إليه في بعض الحالات، بما لا يتنافى مع حُرّيّة النصّ في إنتاج قراءاته المتعدِّدة.

أ.د/ عبد الله بن أحمد الفَيفي

• http://khayma.com/faify

• p.alfaify@gmail.com

لوحة الغلاف التشكيلية نجاة خطيب
www.artmajeur.com/khatib

تصميم الغلاف: سامح خلف







ISBN 978-614-01-0503-4